روايات مصرية للجيب

سلسلة الروايات

6

24 ساعة في ٣٠٠ دقيقة

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٣

إهـــداء

إلى الأستاذ / حمدى مصطفى
مدير المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر

وإلى كل من أسهم فى إخراج هذا العمل .

وإلى الصديقة (رباب) على المجهود الرائع الذى بذلته فى إخراج هذا العمل .

شكراً

تامر

مقدمة

الحياة نوعان ..

تلك الحياة المعتادة التى نحياها بمشاكلها التقليدية .. وهمومها التى لا تنتهى ..

وحياة أخرى تنبض بالإثارة .. وتعج بالأخطار والأهوال والرصاصات والدماء .

حياة لا يحياها إلا من يصدق بوجودها ..

ومن هذه الحياة سنختار عالمًا فريدًا من نوعه معروفًا باسم (عالم الجريمة) .

ومع بطلنا (سليم شهاب) سنواجه المنظمات الإجرامية والإرهابية والقتلة المتسلسلين وكل ما ينتمى إلى هذا العالم ..

ولأن تلك الأحداث حدثت بالفعل فى (مصر) ..

ولأن التكتيم الإعلامى عادة يخفى كل شىء ..

لذا ستكون تلك الأحداث هى الموضوعة فى درج خاص فى مبنى الأمن القومى .. حيث لا يفتحه إلا الصفوة ..

وحيث سيكون هناك خاتم خاص على الملفات يقول (ملفات سرية) .

تامر

« ١٢ مارس .. الساعة الحادية عشرة مساءً .. »

- ١ -

ببطء فتح عينيه ..

وللحظات لم يع ما يحدث حوله ..

كان ملقى على الأرض أمام منزل من طابق واحد ، وأمامه نافذة مكسورة .. بينما شظايا الزجاج متناثرة من حوله وأسفله ..

لقد سقط من هناك إذن .. من النافذة ..

وهو ينزف الآن ..

الدماء تتفجر من صدره وساقه وكتفه باطراد ..

لقد أصابته الرصاصات حتمًا ..

نعم .. ها هو ذا يذكر الآن .. ولا بد أنه لم يفقد وعيه سوى لدقيقة أو أقل ..

لقد كان يقف أمامه والمسدس بيده .. ثم الوميض .. ثم ها هو ذا الآن ..

لقد فشل فى أن يمنعه ..

ولا بد أن العد قد بدأ الآن ..

« يا إلهى .. يجب أن أحذر أحدهم قبل أن .... !! »

وبرغم الدماء والإصابات وقف ..

وللحظة حاول أن يتماسك ، ولكنه سقط ثانيةً ..

الدماء تغرقه ، وهو يعرف أنه سيموت .. وبسرعة أيضًا ..

لا وقت إذن ..

وللمرة الثانية تحامل ووقف .. وبدأ يمشى ببطء ..

يجب أن يرى أحدهم .. أى أحد ، وفورًا ..

يجب .. قبل أن يموت ويفوت الأوان ..

وببطء أخذ يتحرك مبتعدًا عن المنزل .. والشارع ممتد أمامه وقد خلا تمامًا من المارة ..

تُرى هل سينجح ؟!

الدماء التى يفقدها تزيده ضعفًا وتجعل الرؤية أمامه تكتسى بالسواد الذى ضاعف ظلام الشارع مرات ومرات ..

وكان تدريجيًا يفقد القدرة على التفكير واستجماع أفكاره ..

ها هى ذى سيارة تمر ..

يجب أن تراه .. يجب ..

حمدًا لله .. ها هو ذا أحدهم أخيرًا .. ولكن ..

ها هى ذى السيارة تمر بجواره ، وتبتعد دون أن تعيره أدنى اهتمام ..

لا .. لا !!

لقد انتهى الأمر إذن ..

حاول أن يهتف .. أن يتكلم ، لكن الدماء خرجت من فمه لزجة .. مقيتة ..

وبلا مقدمات سقط ..

لقد فشل .. فشل ..

فليرحم اللّه الجميع إذن ..

لقد حاول أن يمنع الكارثة القادمة ، وها هو ذا الآن سيكون أول الضحايا ..

وباستكانة .. أغمض عينيه منتظرا النهاية و ...

« يا إلهى .. ما هذا ؟! إنه مصاب .. »

دوى الصوت فى أذنه بألف صدى ليعيده ـ مؤقتًا ـ لعالم الأحياء ..

وعلى الفور فتح عينيه ليرى صاحب الصوت ، ولكنه كان قد فقد القدرة على الرؤية ..

والآن يجب أن يقولها .. أن يحذرهم ..

يجب أن ينطق ..

وبكل ما تبقى من طاقة الحياة داخله قال :

ـ « الـ .. قـ .. قنبلة .. ستنـ .. فجر .. اهربوا ..

وسكن جسده إلى الأبد .. ومات ..

أما ذلك الشاب صاحب الصوت فقد تراجع بذعر ..

وبلا وعى ردّد .. « اهربوا .. »

★ ★ ★

« ١٢ مارس .. الساعة الحادية عشرة وسبع عشرة دقيقة مساء .. »

بصعوبة قاوم الضابط (مدحت) تلك الرغبة العارمة التى تكتنفه لكى يترك عجلة القيادة ويسند رأسه عليها و ... ويغط فى نوم عميق ..

لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع .. إنه فى حالة استدعاء ..

بعد يوم حافل شاق بدأ فى الساعات الأولى من الفجر .. يأتيه استدعاء طارئ للتحقيق فى جريمة قتل فى أحد الأحياء الهادئة ، القتيل عثر عليه شاب بالمصادفة وأبلغ الشرطة على الفور .

وللحظة تساءل (مدحت) .. لماذا لم يغض الشاب نظره ، ويمضى إلى منزله بهدوء تاركًا إياه ينعم ، ولو بقدر ضئيل من النوم ؟!

ولكنه يعرف حظه ..

المشكلة أنه برغم عمله لمدة أحد عشر عامًا فى الشرطة لم يستسغ بعد جرائم القتل ..

عنف .. دماء .. غموض .. ومأساة مروعة فى النهاية ..

الدماء بالذات هى أكثر ما يكره رؤيته ربما بصورة مبالغة .. لعقدة نفسية منذ الصغر .. من يدرى !!

المهم أنه يكره رؤية الدماء بجنون ..

ولكن دعنا من هذا كله الآن .. ها هو ذا قد وصل ..

كانت هناك عربتا شرطة تبعثان فى المكان ذلك الضوء الأحمر الدوّار ، وقد آثر الجميع الصمت المشوب بالرهبة كالمعتاد فى جرائم القتل ..

أسرع أحد الجنود إليه ليؤدى التحية العسكرية بانفعال قائلاً :

ـ « عثرنا على الجثة يا سيدى .. ومَنْ أبلغ ينتظر أن يتم استجوابه ، وثمة منزل فى ذات الشارع مضاء ، وبه نافذة مكسورة ودماء فى الحديقة ، وهو خال ، ولقد أحطناه بسياج بلاستيكى ..

ابتلع (مدحت) امتعاضه وقال :

ـ « حسن .. أين الشاب ؟ »

ـ « فى العربة .. »

ـ « سأذهب إليه .. »

وبخطوات مسرعة اتجه إلى السيارة ، حيث وجد الشاب الذى كان شديد التوتر .. سريع الاستثارة ، حتى إنه لم يكد يرى (مدحت) حتى خرج من السيارة هاتفًا :

ـ « لقد كان ملقى على الأرض يا سيدى .. فى بركة من الدماء .. ولقد حاولت إسعافة لكنه كان يحتضر .. ومات و ... لم أدر ما الذى يمكن أن أفعله » ..

بادره (مدحت) : « فمنعتنى من النوم .. »

بدا الاستغراب على وجه الشاب وهو يقول : « ماذا ؟!! »

ـ « لا عليك .. استمر .. ألم تر أحدًا بالقرب منه » ..

ـ « لا .. »

ـ « ولم تسمع صوت طلقات نارية ؟ »

ـ « لا .. لاشىء أعرفه .. لقد عثرت عليه ملقى فحسب .. أه .. لقد قال لى شيئًا قبل أن يلفظ أنفاسه .. »

هتف (مدحت) بلهفة : « ماذا قال ؟ »

ـ « لقد قال .. اهربوا .. القنبلة ستنفجر .. »

ـ « ماذا ؟ قنبلة !! أى قنبلة ؟! »

أجاب الشاب برهبة : « لست أدرى .. لقد قال هذا ومات »

ـ « حسن .. يبدو أنك أيضًا لن تنعم بالنوم هذه الليلة .. »

وتركه ليسرع إلى الجندى نفسه قائلاً :

ـ « أين ذلك المنزل الذى عثرتم عليه ؟ »

ـ « هناك يا سيدى .. ذلك المضاء .. »

ـ « حسن .. هل وصل فريق المعمل الجنائى ؟ »

ـ « سيصلون حالاً .. »

وبلا إضافات تركه (مدحت) ليتجه إلى المنزل وقد صار النوم آخر ما يفكر فيه ..

يبدو أن جريمة القتل هذه تخفى فى طياتها مشاكل أكبر وأعقد ..

كان المنزل من طابق واحد .. وقد تحطمت نافذته المواجهة للشارع فى حين كانت هناك فى الحديقة بقعة دماء كبيرة متجلطة ..

اللعنة .. لشد ما يكره مظهرها ..

وببطء نسبى اتجه إلى داخل المنزل .. وبدقة بدأ يتفحصه ..

كان خاليًا تقريبًا .. مؤثثًا بطريقة لا تدل أبدًا على الثراء .. ولم يكن هناك أى آثار للعنف مطلقًا ..

ثم هناك كانت حجرة المكتب .. من حيث سقط القتيل ..

ـ « حسن .. ماذا لدينا هنا ؟ »

ترددت العبارة بصوت قوى النبرات .. جهورى بعض الشىء ، فالتفت (مدحت) على الفور إلى صاحب الصوت ، والذى بدا

عملاقًا بقامته المديدة وكتفيه العريضتين .. وإن لم يخلُ منظره من وقار مع ملامحه الهادئة ، ومنظاره الطبى الأنيق ، وتلك الخصلة البيضاء فى مقدمة شعره ..

وبنوع من الارتياح هتف (مدحت) :

ـ « (سليم شهاب) شخصيًا .. يالى من محظوظ .. »

ابتسم (سليم) دون أن يجيب ، فى حين كان (مدحت) قد بدأ يشعر بالارتياح حقًا ..

إنه يعرف من هو (سليم شهاب) .. خبير المعمل الجنائى الشهير .. والطبيب الشرعى العبقرى .. وخبير الكمبيوتر المحنك .. كل هذا فى آنٍ واحد ..

وهذا هو كل ما يعرفه الجميع عن (سليم شهاب) ..

بل إن البعض يشعرون نحوه بنوع من الغموض ، تعكسه ملامحه الجامدة التى لا تظهر أى انفعال قط ، ولكن أحدًا لم يستطع أن يمنع نفسه عن الانبهار به ، سواء مَنْ عمل معه أو مَنْ سمع عنه ..

وها هو ذا اليوم سيعمل معه .. إن ذلك يشعره بنوع من المتعة ..

وبذات الارتياح قال (مدحت) :

ـ « هل وصل فريقك يا (سليم) ؟ »

ـ « ليس بعد .. سيأتون بعد أن أنتهى كالمعتاد .. »

ـ « هل ستبدأ بفحص شامل .. أم بتشريح الجثة ؟ »

ـ « بل من نقطة البداية .. من حيث سقط القتيل .. »

أشار (مدحت) لحجرة المكتب قائلا : « من هنا إذن .. »

واتجه خلف (سليم) إليها ..

وكان الفارق واضحًا بين حجرة المكتب وباقى المنزل .. إذ كانت الحجرة فاخرة التأثيث ، تنم عن ذوق رفيع المستوى ، وقد حوت مكتبة اكتظت بالمراجع والكتب الباهظة الثمن .. وهناك جهاز كمبيوتر متنقل على المكتب .. ثم النافذة .. بزجاجها المحطم .. وبقعة دماء كبيرة تلوث الستائر والحائط جوارها ..

وعادت نفس (مدحت) للانقباض لدى رؤيته للدماء .. فى حين استقبل (سليم) المشهد بهدوء من اعتاده .. وقال :

ـ « لا آثار للعنف هنا أيضًا .. يبدو أن القاتل إما قد تسلل بوسيلة ما .. أو أنه كان يعرف القتيل .. »

واقترب من النافذة وتابع :

ـ « لقد كان القتيل يقف أمام النافذة ، عندما أصابته الرصاصات التى اقتلعته اقتلاعًا ، لتلقى به عبر النافذة . ويبدو

أن إحدى هذه الرصاصات قد اخترقت جسده وعبرت من الناحية الأخرى .. »

وأشار للدماء مردفًا :

ـ « هذا يبرر هذه الدماء .. ولا بد أن القاتل كان يطلق الرصاصات من مسافة قريبة .. أى أنهما تواجها فى الغرفة قبل أن يقتله .. »

تحامل (مدحت) على نفسه ليقول :

ـ « هل ستبدأ فى جمع الأدلة ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

ولكنه استدار إلى المكتب حيث جهاز الكمبيوتر الذى كان يعمل وبهدوء دار حول المكتب ليواجهه ..

وباستغراب عقد حاجبيه قائلاً : « عجبًا ! »

فلقد كانت شاشة الكمبيوتر أمامه تحمل رقمًا كبيرًا ملأ الشاشة كلها تقريبًا .. رقم «261 » ..

ومن أسفله عبارة من كلمتين تقول : « أدخل كلمة السر.. »

وإلى جوار العبارة أخذ مؤشر الكمبيوتر يومض بصورة متقطعة ، وكأنه سيومض إلى الأبد ..

وبدهشة مماثلة ردد (مدحت) :

ـ « ما هذا ؟! »

وفجأة تغير الرقم الضخم .. وتحول إلى «260 »

ـ « إنه عد تنازلى .. »

قالها (سليم) باقتضاب ونوع من القلق بدأ يكتنفه ..

وبدهشة ردّد (مدحت) :

ـ « هناك كلمة سر .. »

التقط (سليم) وريقة صغيرة من على المكتب خُطت عليها بعض الحروف والأرقام ليقول :

ـ « لا بد أنها هذه .. »

ـ « كيف عرفت ؟! »

ـ « إنه مجرّد تخمين .. »

دلف أحد الجنود فى نفس اللحظة ليقول :

« فريق المعمل الجنائى وصل وبدأ العمل .. »

أجابه (سليم) :

ـ « حسن .. أريد تقريرهم بعد نصف ساعة .. »

ـ « حسن يا سيدى .. »

وهنا قال (مدحت) :

ـ « لقد أصبح الرقم 257 .. »

أجابه (سليم) :

ـ « هـذا يعنـى أن الوقت يمضى بسرعة .. سأجرب كلمة السر هذه .. »

وبلا تردّد ضـغط أزرار الكمبيوتر ليكتب الكلمـة وضـغـط زر الإدخال .. »

ثم دسّ كفيه فى جيب معطفه منتظرًا النتيجة ..

وأمامه .. اختفت عبارة « كلمة السر » لتحـل محلهـا عبـارة « شفرة إدخال صحيحة » ..

وعلى الفور تضاءل الرقم الكبير والذى كان قـد أصبـح « 255 » ليتجه إلى ركن الشاشة الأيسر فى حين ظهرت خريطة صغيرة ، وقد ظهرت فيها نقطة حمراء ، وبدأ عد تنازلى جديد فى أسفل الشاشة من الرقم عشرة ..

وانعقد حاجبـا (سليم) بتوتر شديد ، وقـد تسـارعت الأفكار فى رأسه ..

الخريطة التى أمامه خريطة منزل ما ..

الرقم التنازلى الثانى أصبح « 6 » ..

وهذه النقطة الحمراء إنها ..

ـ « قنبلة .. إنها القنبلة التى حذر منها القتيل قبل أن يموت ..»

قالها (مدحت) فى فزع ..

الرقم يصبح « 4 » ..

وبـلا وعـى اندفـع (مدحـت) إلـى خـارج الغرفـة صارخًـا : « اهربوا جميعًا .. القنبلة ستنفجر .. »

الرقم يصبح « 3 » ..

تجمد (سليم) أمام الكمبيوتـر الـذى اختفـت صـورة خريطـة المنزل من عليه لتحل مكانها خريطة أخرى ..

ـ « يا إلهى .. إنها خريطة « مصر » .. »

الرقم يصبح « 2 » ..

يجب أن ينقذ الكمبيوتر ..

وبسرعة حمل الكمبيوتر المتنقل وضمه إلى صدره بقوة ..

الرقم يصبح « 1 » ..

يـدور حـول المكتب بسرعـة .. يتجه نحـو النـافذة .. الدمـاء تلطخ ستائرها .. صـوت جبـار يدوى خلفـه وقوى هائلة تقتلعه من على الأرض اقتلاعًا ليطير عبر النافذة ..

ومن خلفه دوّى الانفجار ..

ولطخت الدماء أرض الحديقة أكثر وأكثر ..

صوت جبار يدوى خلفه وقُوى هائلة تقتلعه من على الأرض اقتلاعًا ليطير عبر النافذة ..

- ٢ -

ببطء فتح عينيه ..

ما الذى أتى به إلى هنا ؟ ثم استرد ذاكرته فى اللحظة التالية ..

إنه حىّ .. لقد نجا من الانفجار .. ولكن آلامًا رهيبة تمزق ظهره ..

لقد أصابته الشظايا حتمًا ..

- « إنه حىّ .. أسرعوا .. »

سمع الصوت يدوى من حوله ، ثم تصاعد صوت خطوات تقترب منه بسرعة ..

الكمبيوتر .. أين هو ؟!

وفجأة دبت فى جسده طاقة عجيبة وهبّ واقفًا متجاهلاً جراحه وآلامه ، وبحث بعينيه لحظة حتى وجده ملقى إلى جواره .. فأسرع إليه بلهفة وفتحه ليجد الشاشة السوداء أمامه ، وقد حملت خريطة مصر والعد التنازلى الأول يشير للرقم « 250 » فى حين اختفى العد التنازلى الثانى ..

بلغه رجلا الإسعاف فى ذات اللحظة ليهتف أحدهما بلهفة :

- « سيدى .. إنك مصاب بشدة .. »

تجاهله (سليم) تمامًا وهو يضغط الأزرار بلهفة ..

وعلى الشاشة أخذت خريطة مصر تكبر وتكبر .. حتى أصبحت خريطة القاهرة هى التى تملأ الشاشة .. ثم امتلأت الخريطة فجأة بالنقط الحمراء بغزارة غير طبيعية ..

وبدهشة ردد (سليم) : « ما هذا ؟!! »

ولكن الخريطة اختفت بغتة لتحل محلها صورة جهاز معقد نوعًا ما .. وقد تراصّت إلى جوار الصورة بيانات عديدة ..

وبلهفة جرت عينا (سليم) فوق السطور ليقرأها كلها ..

إن هذه السطور هى شرح مبدئى بسيط لتركيب الجهاز ..

ولكن مهلاً .. إنه ليس جهازًا ما ..

إنها قنبلة ..

ولكن .. هذا .. مستحيل .. يا إلهى .. إنها ليست قنبلة عادية ..

لقد لقى الجميع مصرعهم يا سيدى .. لقد قضى عليهم الانفجار .. إنك الناجى الوحيد .. »

قالها أحد الجنود فالتفت إليه (سليم) ببلادة ..

الجميع ماتوا !!

القنبلة أبادتهم جميعًا ..

ولكن ماذا عن هذه القنبلة ؟!

القنبلة التى ستنفجر بعد « 246 » دقيقة فقط ..

وللمرة الثانية أخذ يقرأ بيانات القنبلة ..

إنها قنبلة نووية بالتأكيد .. لامراء فى ذلك ..

قنبلة نووية ستنفجر فى مكان ما فى القاهرة بعد « 246 » دقيقة .. فقط ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الثانية عشرة واثنتا عشرة دقيقة .. »

فرك وزير الداخلية عينيه بعصبية وحالة من القلق والانفعال تكتنفه ، وتمنع تنظيم أفكاره بشدة .. ترى !! ما هى حالة الطوارئ هذه التى أيقظوه من أجلها وانتزعوه من فراشة ليأتوا به إلى هنا الآن ؟

هل هناك خطر داخلى يهدد أمن مصر ؟

جاءت هذه الفكرة فى رأسه لتفجر طاقته وقلقه .. أمن مصر .. إنه على استعداد لدفع حياته نفسها من أجل أمن مصر ..

دعه إذن لا يستبق الأحداث ، فها هو ذا قد بلغ حجرة الاجتماعات و ...

ـ « سيدى .. نأسف لإيقاظك بهذه الصورة ، ولكن الوضع حرج .. »

قالها مساعده المباشر .. فرد على الفور :

ـ « لا عليك .. ما الذى حدث ؟! »

ـ « ثمة ما يدعونا للاعتقاد بوجود قنبلة نووية فى القاهرة .. »

انتفض جسد الوزير كله وهو يهتف بارتياع : « ماذا ؟!! »

بدا مساعده أكثر تماسكًا وهو يقول :

ـ « لقد قُتل أحدهم فى « مدينة نصر » منذ ساعة وبضع دقائق .. ولقد انتقلت إحدى الوحدات إلى موقع الحادث الذى كان منزلاً من طابق واحد مؤجرًا لشخص يدعى (عزت عبد الحميد) .. مهندس يعمل فى الخارج .. ولقد انفجر المنزل بغتة ليقضى على أفراد الوحدة ، ولم ينج منهم سوى الدكتور (سليم شهاب) ..

ـ (سليم شهاب) !!

أليس هو ذلك الرجل الذى قام بالقبض على الإرهابى الفنلندى منذ شهرين ؟ »

ـ « نعم ، هو يا سيدى .. ولقد حمل معه من المنزل قبل انفجاره .. جهاز كمبيوتر متنقلاً به بيانات القنبلة النووية .. وخريطة للقاهرة .. ١ أ من هذا كله .. عد تنازلى .. »

ـ « عد تنازلى ؟ ينتهى ؟! »

التقط المساعد نفسًا طويلاً ليحافظ على تماسكه ليجيب :

ـ « بعد مائتين وعشرين دقيقة .. أى بعد أقل من أربع ساعات .. »

شحب وجه الوزير بشدة وانتفض جسده للمرة الثانية ..

أقل من أربع ساعات وتنفجر قنبلة نووية فى القاهرة ..

إن الأمر لا يتعلق بأمن مصر فقط ..

إنه يتعلق بوجود مصر من الأساس ..

فإن كان ما سمعه الآن صحيحًا .. فهذا يعنى أنه بعد أقل من أربع ساعات لن تكون هناك مصر على خارطة العالم .. مستحيل ..

هذا لن يحدث ..

وانتزع نفسه من ذهوله ليقول : « أين (سليم شهاب) ؟ »

أجابه مساعده :

ـ « فى الخارج .. يضمد جراحه .. لقد أصابت الشظايا ظهره .. »

ـ « لا وقت لهذا .. أريده هنا فورًا .. وأريد أيضًا الدكتور (كارم فوزى) .. أستاذ الهندسة النووية ، أريده هنا فورًا حتى ولو كان فى قبره .. »

أسرع المساعد لتنفيذ أوامره ، فى حين التفت الوزير إلى مسئول الاتصالات ليقول بلهجة آمرة عصبية :

ـ « صِلنى بمدير المخابرات ، ووزير الدفاع .. يجب إجراء اجتماع فورى .. حالة طوارئ قصوى .. »

دخل فى نفس اللحظة مساعده ليقول :

ـ « سيدى .. (سليم شهاب) ليس هنا .. »

ـ « ماذا ؟! »

ـ « لقد ذهب لتشريح جثة القتيل .. »

صمت لحظة كأنه يبتلع الخبر ثم قال :

ـ « لا بأس .. لا وقت لنضيعه .. »

فى نفس الوقت كان (سليم) قد انطلق بسيارته إلى المشرحة والأفكار تدور فى رأسه بسرعة أفقدته القدرة على التركيز ..

ها هى ذى واحدة من أعقد القضايا التى تواجهه ..

بعد كل ما عاش من تجارب .. وما مر به من قضايا .. هاهى ذى قضية القمة ذاتها ..

فهذه المرة لن يعدو فشله إغلاق ملف القضية فحسب ؛ وتسجيله ضد مجهول ..

بل إن الأمر سيصل لإغلاق ملف مصر ذاتها فى التاريخ ..

وهو يفضل أن يموت ألف مرة ومرة ، قبل أن يحدث شىء كهذا ..

المشكلة الآن أن هذا الأمر قد تجاوز قدراته تمامًا ..

إنه يثق بنفسه وبقدرته ـ كخبير معمل جنائى ـ فى العثور على طرف الخيط الذى يقود لحل أى قضية .. ناهيك بالطبع عن خبرته كطبيب شرعى يكاد يصل للعالمية ..

ولكن هذه المرة يوجد شىء واحد يعوقه ..

لا يوجد مسرح جريمة ..

القاتل نسفه ، وكاد ينسفه هو نفسه فيه ..

وهكذا لا توجد نقطة بداية له ..

كل شىء يوجد دائمًا هناك .. فى مسرح الجريمة ..

المنطق الصرف يقول هذا ، وخبرته الطويلة تؤكد هذا ..

والآن .. لا يوجد لديه مسرح جريمة ..

فقط الجثة ..

وهذا يعنى أن يكرس كل خبرته الآن كطبيب شرعى ..

ومن يدرى حينئذٍ ؟!

لربما منحه القدر طرفًا ـ أى طرف ـ للخيط ..

المهم أن يكون هذا قبل النهاية ..

نهاية الحياة فى جمهورية مصر العربية ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الثانية عشرة وعشرون دقيقة .. »

ـ ٣ ـ

انسابت الموسيقى الهادئة فى منزل المليونير الشهير (قاسم وجدى) .. ليغطى صخب المدعوين عليها فى تلك الحفلة التى أقامها لافتتاحه إحدى الشركات التى انضمت لسلسلة شركاته ..

وفى الداخل .. وعلى إحدى الموائد فى أحد الأركان البعيدة عن الصخب .. كان (كارم فوزى) مهندس الطاقة النووية يجلس وحيدًا ، يرمق المدعوين من حوله بنوع من الحرج والارتباك ..

إنه لن يعتاد جو الحفلات هذا أبدًا ..

بل إنه لم يكن ليأتى لولا صداقته الشخصية لـ (قاسم وجدى) ..

تلك الصداقة التى تمتد إلى أيام الطفولة المبكرة ..

وها هو ذا (قاسم) يتركه جالسًا هكذا .. لا يدرى ما الذى يفعله ..

لقد بدأ الملل يحطم أعصابه حقًا .. و (قاسم) يجول أمامه بين الحين والآخر ..

يقف مع هذه .. ويضحك مع هذا .. ويدخل فى مناقشة حامية مع هؤلاء ، ولا يلتفت إليه إلا ليمنحه ابتسامة مشجعة ثم يمضى مرة أخرى ..

الواقع أنه إنسان اجتماعى من الدرجة الأولى ..

لماذا لا يساعده إذن ..

ولم يكد يمر من أمامه ثانية حتى أشار له فاتجه إليه متسائلاً :

ـ « ماذا هناك يا (كارم) ؟ »

ـ « لست أدرى ما أفعله .. لقد تركتنى فجأة ، و ... »

ـ « آه .. فهمت .. لماذا لا تتعرف إحداهن هنا ، إنك وسيم بما فيه الكفاية ، و ...

قاطعه بحنق :

ـ « قاسم » .. إننى لست من هذا الطراز ..

ـ « ماذا تريد إذن ؟! »

ـ « لست أدرى .. »

ـ « إذن حاول أن تتصرف وكأنك صاحب الحفل .. وستندمج بسهولة .. والآن بإذنك حتى أرى .. »

وقبل أن يتم عبارته كان قد ابتعد فعلاً ..

والآن .. لماذا لا يجرب نصيحته حقًا ؟!

فقط سيتصرف كأنه صاحب الحفل ، و ...

وبهدوء تام ، غادر مجلسه ليتجه بثقة نحو تلك الحسناء التى كانت تجلس وحدها فى ذلك الركن منذ بداية الحفلة ..

الأمر ليس صعبًا .. إنه لم يجربه من قبل قط ، ولكنه يشعر بأنه ليس كذلك ..

فقط سيبتسم ابتسامة مدروسة ، ويدس يده اليسرى فى جيبه ، ويشدّ قامته بعض الشىء ، و ...

كل العيون تتجه إليه فجأة وترمقه بفضول ودهشة ..

عجبًا !! ما الذى حدث ؟!

ـ (كارم فوزى) ..

النداء الصارم يدوى فى أذنيه .. لابد أنها المرة الثانية ..

وعلى باب الفيلا كان رجل الجيش الضخم الجثة ينتظر ..

تُرى ما الذى حدث ؟!

وبخطوات متعثرة من الارتباك والقلق اتجه إليه وهو يقول :

ـ « إنه أنا .. ما الذى حدث ؟! »

كان الجميع قد صمتوا تمامًا ، فبدا صوت الرجل مدويًا ، وهو يقول :

ـ إنك مطلوب الآن ، وللضرورة القصوى ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الثانية عشرة والنصف .. »

ـ « الوضع فى غاية الخطورة أيها السادة .. »

قالها وزير الداخلية بلهجة تقطر بالانفعال .. وأمامه على نفس المائدة جلس مدير المخابرات العامة المصرية ، ووزير الدفاع .. والاهتمام يطل من نظراتهم .. فتابع الوزير :

ـ « لو كان موضوع القنبلة النووية هذا صحيحًا فهذا يعنى أننا فى كارثة .. »

هتف وزير الدفاع محتدًا :

ـ « وكيف دخلت هذه القنبلة إلى (مصر) من الأساس .. إنها لم تصنع هنا حسبما أعتقد .. »

أجابه مدير المخابرات :

ـ « أعتقد أن الوقت المتبقى لدينا لا يجب إضاعته فى بحث كيفية دخول القنبلة أو تصنيعها .. أو حتى الجهة المسئولة عنها .. المهم الآن هو شىء واحد فقط .. أن نجد القنبلة ونبطل مفعولها .. »

تدخل وزير الداخلية ليجيب :

ـ « يبدو أن هذا ليس بالسهولة التى نتصورها .. فالقاتل نسف المكان الذى بدأت منه الأحداث ، حتى لا يترك لنا دليلاً لتعقبه .. كما أنه لم يحاول حتى الآن الاتصال بنا ليملى شروطه إن كان ينوى هذا .. »

عاد مدير المخابرات يقول :

ـ « عجبًا .. لست أعتقد أن صاحب القنبلة هذا يريد التدمير لمجرّد التدمير .. »

بادره وزير الدفاع :

ـ « ولِمَ لا ؟ إنها قنبلة نووية .. ولو أراد المساومة لاكتفى بقنابل جرثومية أو غاز سام .. أما قنبلة نووية ذات تدمير شامل مطلق .. فأعتقد أن المساومة هى آخر ما سيفكر فيه .. »

قال وزير الداخلية :

ـ « ما الذى سيفكر فيه إذن ؟! »

جاء دور مدير المخابرات ليقول :

ـ « الهرب .. »

ارتسم التساؤل فى عينى وزيرى الدفاع والداخلية .. فتابع :

ـ « ما الذى تتوقعه من رجل يعرف أن قنبلة نووية ستنفجر بعد أقل من أربع ساعات ؟ »

بدا كلامه منطقيًا .. فتابع وزير الداخلية :

ـ « بالطبع سيحاول الهرب بأسرع الطرق .. بالطائرة .. »

رفع مدير المخابرات سبابته ، وهو يقول :

ـ « لست أظنك تفكر فيما أعتقده .. »

ـ « ولِمَ لا ؟! »

لوّح المدير بكفيه فى الهواء وهو يقول :

ـ « لأن هذا ـ وببساطة ـ سيعوق إجراءات الإخلاء .. »

صدمت الكلمة وزير الداخلية الذى ردد بانفعال هاتفًا :

ـ « الإخلاء !! »

دخل مساعده فى ذات اللحظة ليقول باختصار :

ـ « تقرير المهندس (كارم فوزى) انتهى .. »

ـ « فليأتِ على الفور إذن .. »

غاب المساعد فى الخارج لحظة ، ثم عاد ومعه (كارم) الذى كان قد نزع رباط عنقه ، وفتح أزرار قميصه ، وقد بدأ يتصبب عرقًا وهو يحمل الكمبيوتر المتنقل قائلاً :

ـ « معذرة أيها السادة .. إننى أريد تركيزكم الكامل معى هاهنا .. »

ثم أوصل الكمبيوتر بشاشة عرض ضخمة متابعًا :

ـ « هـذه هى القنبلة النوويـة أيهـا السـادة .. ولكنهـا ليست قنبلة نووية عادية .. »

شحذت كلماته اهتمام الجميع ، حتى إن وزير الداخلية قال بتوتر :

ـ « كيف ؟ »

أجابه (كارم) :

ـ « لست أدرى إن كان ما سأقوله سارًا أم لا .. ولكن هذه القنبلة النووية ليست ذات قوة تدميرية مطلقة .. بل هى ـ من الناحية العلمية فقط ـ تعد معجزة حقيقية .. فهذه القنبلة تعتمد على الإشعاع النووى فقط .. »

سأله مدير المخابرات باهتمام :

ـ « كيف ؟! »

أجابه (كارم) :

ـ « هذا هو الجزء غير السار فى الموضـوع ، فهذه القنبلة ليست سوى أحدث نـوع من أنواع القنابل الجرثومية ، ولكن التجديد يكمن فى الجراثيم نفسها ، إنها نوع متطوّر محضّر معمليًا بحيث يتم تنشيطها بالإشعاع النووى .. وذلك بهدف

منحها القدرة على الاختراق .. اختراق أى حاجز مادى بما فيه جسم الإنسان نفسه .. وذلك كفيل بقتل أى صورة من صور الحياة فى دائرة تغطى مساحة (القاهرة) كلها .. »

ـ « فقط ؟! »

ـ « فقط .. الأرقام تقول هذا لا أنا .. »

عاد وزير الدفاع يسأله :

ـ « وماذا عن كشف القنبلة ؟ أعنى بالأقمار الصناعية ، و ... »

قاطعه (كارم) ، ليقول :

ـ « أخشى أن هذا مستحيل تمامًا .. فالقنبلة محاطة بكرة من الرصاص ذات جدار سميك لدرجة تكفى لمنع الإشعاع من الخروج منها .. كما سيساعد أيضًا على الحد من قوة القنبلة عند التدمير .. »

ـ « وماذا عن المواصفات المعتادة .. حجمها .. ارتفاعها .. وزنها ؟ »

ـ « القنبلة محتواة داخل كرة من الرصاص .. قطرها لن يزيد على مترين ونصف .. وهذا يعنى أنها من الممكن أن تتواجد فى أى مكان .. »

ـ « أهذا يعنى أنه ما من وسيلة ؟ »

صمت (كارم) لحظة ثم وجد أنه لا مفر ، فأجاب :

ـ « لا .. لا توجد وسيلة لتحديد مكانها .. »

وعاد لصمته لحظة قبل أن يقول بثبات :

ـ « والآن .. هل الوقت كافٍ لإخلاء (القاهرة) ؟! »

★ ★ ★

ـ ٤ ـ

أثار مشهد (سليم شهاب) بجسده الضخم ، وذلك المعطف الأبيض الذى يرتديه ، وعويناته الطبية التى عكست الضوء المنبعث من المصباح الوحيد فى المشرحة ، الرهبة فى نفس عامل المشرحة الذى أخذ يرمقه باتبهار ، وهو يعمل بنشاط عجيب على جثة ذلك الرجل الممدّدة أمامه ..

كان قد سمع عن (سليم شهاب) ، وشهرته كأفضل طبيب شرعى فى الوطن العربى كله ، إلا أن هذا كله لم يمنعه من الشعور بنوع من الخوف ، إزاء حالة الانفعال التى بدا عليها (سليم) ..

والواقع أن (سليم) نفسه كان أشد خوفًا منه !!

لقد كان يخشى الوقت ..

الوقت الذى إذا مرّ .. ستنفجر قنبلة نووية فى (مصر) لتقضى على كل شىء .. كل شىء ..

أمله الوحيد الآن أن يعثر على أى طرف يقوده لأى شىء ..

وها هى ذى الجثة أمامه تحمل له لغزًا جديدًا ..

إنها جثة مجهول ؟!

مجهول يحمل تلك الملامح التى لا تحدد قط جنسية صاحبها .. وبصمات لم يتعرف عليها ..

وست رصاصات قضت على حياته إلى الأبد ..

السؤال الآن الذى قد يقود إلى طرف الخيط هو .. من هو هذا الرجل ؟

ثم .. لماذا قُتل ؟!

ومن قتله ؟!

وما علاقته بالقنبلة ؟!

ثمة أسئلة تنتظر إجابتها ، وثمة جثة أمامه الآن تنتظر تشريحها ..

ولكن .. هل ستقوده إلى شىء ؟!

من يدرى ؟!

الجثث فى الروايات البوليسية التى كان يقرؤها فى صباه ، كانت تقود دومًا إلى شىء ما ..

وها هو ذا يعيش أسوأ الروايات ..

أمامه جثة باردة .. ترمقه بعينين لا تريان .. وعقارب ساعة تدور بجنون .. وقنبلة نووية ستنفجر فى مكان ما ..

تُرى ؟! هل سيجد الوقت الكافى حينئذ لينجو ؟!

بل .. هل من الممكن أن ينجو أحد ؟!

هل سينتهى كل شىء بغتة هكذا ؟!

ولماذا ؟!

لماذا يسعى أحدهم لنسف (مصر) كلها هكذا ..!

أهى إحدى الدول المعادية ؟!

ولكن هذا مستحيل.. فلو كانت إحدى الدول فهى إذن التى صنعت القنبلة ونقلتها إلى (مصر) ، وهذا هو المستحيل بعينه ..

لا يمكن لقنبلة نووية أن تمر عبر الحدود دون أن يتم كشف أمرها ..

ثم هناك شىء ما عجيب ..

هل من الممكن أن ..... ؟

وبلا وعى غادر المشرحة ليتجه إلى غرفته فى ذات الممر ، ويلتقط سماعة الهاتف الذى ضغط أزراره بسرعة قبل أن يقول :

ـ « هنا (سليم شهاب) .. »

أجابه صوت يقول بنوع من الرسمية :

ـ « لحظة واحدة من فضلك .. »

وما هى إلا ثوان حتى جاءه صوت يقول بنوع من اللهفة :

ـ « أنا الوزير يا (سليم) .. هل توصلت لشىء ؟! »

ـ « ليس بعد .. ولكن هل أتيتم بخبير ليفحص البرنامج ؟ »

ـ « نعم .. (كارم فوزى) إن كنت تعرفه .. »

ـ « للأسف لا .. ولكننى أريد أن أحدثه الآن .. ثمة بعض النقاط أود الاستفسار عنها .. »

ـ « لا بأس .. انتظر إذن .. »

ولم تمض دقيقة واحدة حتى ارتفع صوت جديد يقول :

ـ « أنا (كارم فوزى) .. »

ـ « مرحبًا يا (كارم) .. لا أعتقد أن الوقت يسمح بالتعارف ، ولكن ثمة أسئلة أريد أن أطرحها عليك .. »

ـ « تفضل .. »

ـ « أريد أن أعرف أولاً .. معلومات عن تركيب القنبلة .. »

روى له (كارم) على الفور كل ما استخلصه من البرنامج ، بذلك الأسلوب المبسط ، الخالى من التعقيدات العلمية وإضاعة الوقت ، ولم يقاطعه (سليم) حتى انتهى تمامًا ثم قال له :

ـ « إذن فليس هناك مواصفات خاصة تساعدنا على معرفة موقعها بالتحديد .. »

ـ « لا .. للأسف .. »

ـ « ولكن هذه القنبلة لم تصنع داخل (مصر) .. »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « حسن .. وبالطبع لم يتم نقلها إلى هنا بالطائرة ، وإلا انكشف أمرها فورًا .. »

ـ « أعتقد هذا ، وخاصة أن التصميم العام للقنبلة يضفى عليها نوعًا خطيرًا من الحساسية يهدد بنسفها .. »

ـ « هذا يجعلنا أيضًا نستبعد الطرق البرية .. »

ـ « وبالتالى يحصر الوسيلة فى الطرق البحرية .. يبدو أن هذا هو الاحتمال الأرجح .. فأى سفينة لنقل البضائع ستفى بالغرض وخاصة التمويه .. »

ـ « ولكن هناك مشكلة عبورها عبر المنافذ الجمركية .. ونقاط التفتيش .. »

ـ « ولكنها عبرت بالفعل .. وها نحن أولاء فى انتظار العثور عليها .. »

صمت (سليم) لوهلة ثم قال :

ـ « ثمة حادث يثير ارتيابى حدث منذ شهرين .. سفينة غرقت بالقرب من قناة السويس .. فى البحر المتوسط .. الغريب أن هذه السفينة كانت وقت غرقها بالقرب من ثلاث سفن أخرى ، وعلى الرغم من ذلك .. لم تحاول إحداها أن تسدى لها العون ، وكأنها لم تعرف بوجودها أصلاً .. »

ـ « سفينة متسللة إذن .. »

ـ « ربما .. ولقد دخلت السفن الثلاث قناة السويس .. »

ـ « آه .. أكاد أرى ما فى ذهنك إذن .. »

إحدى السفن تغير مسارها وتلتقط شيئًا ما من السفينة الغارقة ثم تواصل طريقها .. وبالطبع نحن نعرف هذا الشىء ..

ـ « بالضبط .. »

ـ « رائع .. ابدأ تحرياتك إذن .. »

ـ « سأفعل .. وأنت انقل هذه الفكرة إلى الوزير ليقوم بجمع المعلومات اللازمة .. »

وأنهى المكالمة ليعود لمواصلة عمله بجد وحماس متوتر من مرور الوقت ..

أما (كارم) فعاد ليواصل عمله على الكمبيوتر ليدرس تفاصيل القنبلة أمامه ..

الموضوع ليس سهلاً وسيستغرق الكثير من الوقت ..

المثير للاهتمام حقًا سعة الكمبيوتر .. من حيث الذاكرة .. إن كل البيانات أمامه لا تستهلك ثلث الذاكرة .. فماذا عن الثلثين الآخرين ؟

تُرى أى أسرار سيحملها له هذا الجهاز ؟

أما (سليم) فإذ عاد يواصل تشريح الجثة .. كان يحاول إنجاز عمله هذا بأقصى سرعة ممكنة ..

لا وقت .. تلك هى المشكلة ..

وإذ بدأ فى التشريح الداخلى .. كانت قطرات العرق تنحدر على جبهته ..

يجب أن يسرع وفى نفس الوقت لا يهمل أى تفصيلة .. فمن يدرى ؟

ربما كان الحل كله فيما سيجده فى هذه الجثة من آثار أو علامات ..

ليبحث إذن ..

ثمة انتفاخ ما فى المعدة .. هل تناول وجبة دسمة قبل وفاته أم ... ؟

لنر .. هذا يبدو وكأنه .. و ...

يا للبشاعة ..

كيس بلاستيكى صغير شفاف يحتوى على .. إصبعين .. إصبعين آدميين !!

اللعنة .. صاحب القنبلة هذا سفاح مجنون ..

ولكن .. ثمة وريقة صغيرة فى الكيس .. بها عنوان ما ..

بالطبع صاحب القنبلة لم يترك له هذا كله عبثًا ..

إنه يلعب لعبة القط والفأر .. لا بأس إذن .. بل ـ فى الواقع ـ لا مفر ..

وهكذا خلع (سليم) معطفه بلهفة لتظهر آثار دماء إصاباته على ظهره ، واتجه بسرعة إلى مكتب زميله (شوقى) ليقول بانفعال :

ـ « (شوقى) .. أريد بصمات واضحة لهذين الإصبعين وتحديد أصحابهما بوساطة الكمبيوتر المدنى ..

وبأقصى سرعة ..

وعندما تصل لشىء اتصل بى .. »

وقبل أن يتفوه (شوقى) بحرف .. كان (سليم) قد مضى ..

★ ★ ★

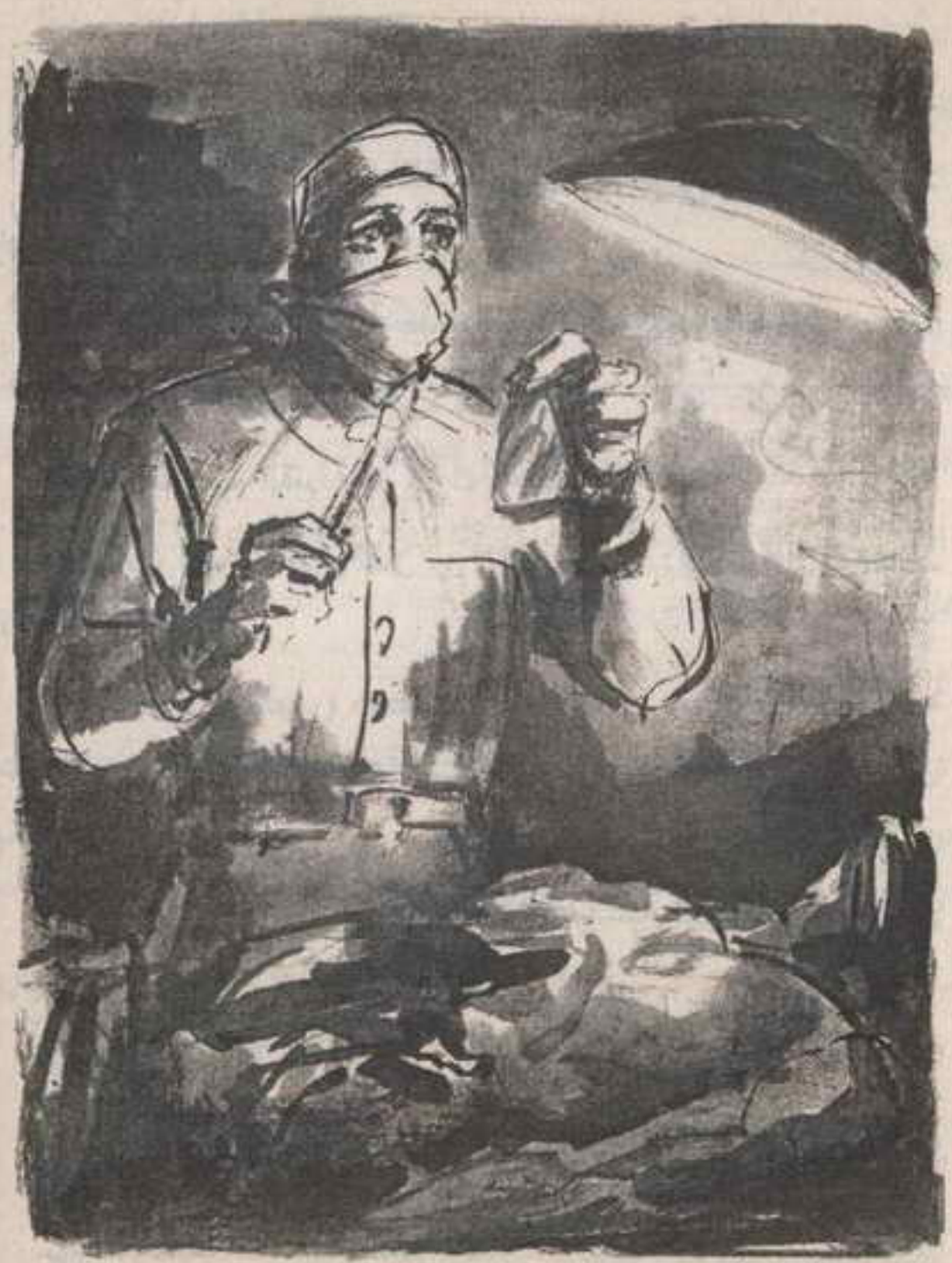

كيس بلاستيكى صغير شفاف يحتوى على .. إصبعين .. إصبعين آدميين !! اللعنة .. صاحب القنبلة هذا سفاح مجنون ..

« ١٣ مارس .. الثانية عشرة وواحد وخمسون دقيقة .. »

- ٥ -

تحرك مندوب وزارة الداخلية بخطوات سريعة فى مبنى التدريب السرى للقوات الخاصة ، وعيناه تجوسان فى المكان بفضول من لم يره من قبل ..

كان الصمت هو الطابع العام للمكان .. فبرغم كون المكان مكتظًا بأعداد كبيرة من المسئولين والمتدربين ..

وكونه يحتوى على صالات تدريب ضخمة ، منها ما هو للتدرب على استخدام مختلف أنواع الأسلحة ..

إلا أن الجدران العازلة للصوت كانت تؤدى عملها بكفاءة حقًا ..

وللحظة تساءل المندوب إن كان وحده فى هذا المكان ، إلا أن توتره جعله يتجاهل هذا السؤال ..

لا وقت لإضاعته ..

كانت تلك الهوية التى يعلقها على صدره ، تمنحه أحقية

المرور فى قطاعات بالغة السرية والحساسية ، حتى انتهى بـه الممر بغرفة الاتصالات الخاصة ، فدلفها ليقف فى الظلام الدامس ..

وفى الغرفة المظلمة التقط نفسًا عميقًا ثم قال :

ـ « الفرقة « ا » .. »

تبدّد الظلام على الفور مع اشتعال ضوء شاشة ضخمة أمامه حملت بضعة بيانات روتينية اختفت بسرعة لتنقسم الشاشة إلى ثلاثة أقسام ، حمل كل منها وجه شاب قوى الملامح قصير الشعر ..

قالوا بصوت واحد قوى :

ـ « جاهزون للعمل .. »

بدا نوع من الانبهار على المندوب وهو يقول :

ـ « عظيم .. ثمة مهمة طارئة أرسلنى الوزير لأبلغكم إياها ..»

لم يتفوه أحدهم بحرف فتابع هو :

ـ « لدينا ما يؤكد وجود قنبلة جرثومية خاصة فى مكان مجهول بـ (القاهرة) .. ستنفجر بعد أقل من أربع ساعات من الآن .. »

عكست ملامح الثلاثة الاستنكار الشديد ، وقال أولهم (نبيل فواز) مندهشًا :

ـ « وكيف دخلت هذه القنبلة إلى (مصر) أساسًا ؟! »

ـ « عبر قناة السويس .. حسن إن هذا يستلزم شرح تفاصيل طويلة لا وقت لها .. كل ما أستطيع قوله الآن أنها دخلت عبر إحدى السفن التى تأكدنا من صلاحيتها لنقل القنبلة .. ومن حدوث أحداث غريبة فيها تجعلنا نشك وبشدة فى أنها التى قامت بنقل القنبلة إلى داخل (مصر) .. »

ـ « وماذا عن نفاذها عبر منافذ الجمرك والتفتيش .. »

بدا الأسف على وجه المندوب وهو يقول :

ـ « الاحتمال الوحيد المنطقى هو تورط مسئول الجمارك .. (مدحت المنياوى) .. »

ـ « ولكنه عقيد سابق ، و ... »

ـ « لكم مطلق الصلاحيات .. المهم عندنا هو الوقت .. (مصر) كلها فى خطر يا رجال .. »

★ ★ ★

بهدوء أخرج (سليم شهاب) من جيبه سلكًا رفيعًا ، وبمهارة ثناه على نحو خاص قبل أن يدسه فى قفل الباب ليبدأ فى معالجته ..

لقد طرق الباب مرارًا دون جدوى ..

وعندما حاول تحطيمه .. تأكد من أن ذلك مستحيل ..

تبقى إذن أن يستخدم خبرته كخبير معمل جنائى ..

خبرته التى تؤكد له أن الرائحة المنبعثة من تلك الشقة غير عادية ..

رائحة سيعرف مصدرها حين يدخل .. المهم أن يدخل ..

وبسرعة فالوقت يمضى ..

ولكن ذلك القفل اللعين يأبى أن يستجيب بسهولة ..

لا وقت لهذا ..

وأخيرًا انفتح الباب مستجيبًا لثلاث رصاصات نسفت قفله ..

وانبعثت الرائحة كأبشع ما يكون ..

رائحة مقززة تبعث على الغثيان .. رائحة بدأت خبرته تتعرف كنهها ..

ولكن أين مصدرها ؟!

وبحذر مد يده ليضغط زر الإضاءة ..

لا جدوى .. لا كهرباء ..

وهكذا أخرج (سليم) كشافًا يدويًا من جيبه وأضاءه ليبدو ـ جزئيًا ـ الظلام الدامس أمامه ..

لا بد أن مجزرة ما حدثت فى هذا المكان ..

كان الأثاث كله محطمًا بشدة .. والشظايا متناثرة هنا وهناك ، بينما بقع الدماء المتجلطة تلوث الجدران والأرض .. وتلك الرائحة اللعينة ..

وبحذر اتجه (سليم) إلى الداخل .. ثمة غرفة نوم واحدة فى نهاية الممر ..

وبذات الحذر .. اتجه (سليم) إلى الغرفة ..

وهناك لم يكن الحال أفضل ..

وعند ركن الغرفة .. كانت هناك طاولة صغيرة عليها أوراق عديدة اتجه إليها (سليم) بلهفة ..

هذه الأوراق لم تترك هنا هكذا ..

أحدهم كان يبحث عن شىء ما فيها ..

أو .. ربما هذه الأوراق تركت عمدًا ..

لكى يراها هو ..

وبسرعة أخذ يفحص الأوراق .. كانت أوراقًا شخصية لرجل ما يدعى (عزت وجدى) .. وبضع صور له .. ولا شىء آخر يستحق الاهتمام !!

ولكن كيف ؟

صاحب القنبلة اللعين هذا لم يترك له العنوان عبثًا ..

ثمة شيء ما هنا أتى من أجله ، فأين هو ؟

وما هو أساسًا ؟

ولماذا تركه له صاحب القنبلة ؟!

إن هذا غريب ..

وهناك أيضًا سؤال يلح فى ذهنه ..

ما دام صاحب القنبلة هذا يريد التدمير .. فلماذا يكتفى بـ (القاهرة) فقط ؟

ثم لماذا يترك له طرف الخيط ؟

المشكلة أنه الآن فى سباق مع الزمن .. ومع قنبلة نووية ..

ومع احتمال أن ينتهى الأمر بـ (مصر) بلا (قاهرة) قبل شروق شمس يوم جديد ..

والآن أين سيبحث ؟

دورة المياه مجاورة للغرفة وشدة الرائحة المنبعثة منها تؤكد أن مصدرها هناك بالداخل ..

هيا إذن ..

وبذات الخطوات الحذرة اتجه إلى دورة المياه ..

وبالضوء المنبعث من الكشاف اليدوى بدأ (سليم) يرى الهول أمامه ..

كانت الدماء تغرق كل شيء بفظاعة لم يرَ مثلها قط ..

وهناك .. فى حوض الاستحمام كان مصدر الرائحة أمامه ..

ولا يمكن أن يكون ما رآه (سليم) فى حوض الاستحمام كان يدعى (عزت وجدى) ، أو أنه كان كائنًا حيًا أصلاً ..

فالمشهد أمامه كان بشعًا بحق ..

الجثة المنتفخة الغارقة فى بركة من الدماء المتجلطة وقد تم ذبحها بقسوة ..

والرائحة البشعة تنبعث منها كالشيطان ..

وتماسك (سليم) بشدة مقاومًا رغبته فى التقيؤ .. وهو يفحص الجثة أمامه على ضوء كشافة ..

لقد مات صاحب هذه الجثة منذ أيام عديدة .. حتى انتفخت جثته وبدأت تتعفن ..

ولقد قطع أحدهم أصبعى السبابة والوسطى من يده اليسرى ..

وللحظة تساءل (سليم) .. ترى هل تم هذا قبل أم بعد ذبحه .. ثم طرد هذا الخاطر من تفكيره ..

لقد لقى المسكين مصرعه وحسب .. المهم الآن ما جاء من أجله ..

لا بد أن الدليل هنا .....

إنه ليس فى الردهة أو الغرفة .. وليس أمامه أيضًا !!

إذن أين هو ؟!

داخل الجثة ؟!

لِمَ لا ؟

إنها لن تكون أول مرة ..

ولكن هذه الجثة .. إنها .. اللعنة .. لا يطيق النظر إليها .. فكيف يشرحها أو حتى يفحصها عن كثب ؟!

صاحب القنبلة هذا مجنون حتمًا ..

والآن يجب أن يتغلب على اشمئزازه هذا .. يجب ..

لا وقت للاشمئزاز ..

وليبدأ فى عمله ..

حسن .. الفحص الأولى .. ذكر .. فى الأربعين من عمره .. أبيض البشرة .. بدين أو لعل ذلك من انتفاخه .. لقى مصرعه ذبحًا .. التجمعات الدموية أسفل عينيه وفى صدره تقول إنه تعذّب ـ وبشدّة ـ قبل أن يلقى مصرعه ..

ثمة آثار لطعنات فى ظهره فى مواضع غير قاتلة .. لقد قاوم الرجل باستماتة إذن لكن .. ليس طويلاً ..

والآن حان وقت إخراجه من حوض الاستحمام ..

ومقاومًا غثياته غمغم (شهاب) :

ـ « حسن .. سأفعلها ، لا مفر .. »

وبرغم كل شىء فعلها ..

وعندما سقطت عيناه على حوض الاستحمام تنهّد فى ارتياح ..

ثم مدّ يده ليلتقط تلك الوريقة الصغيرة التى كانت أسفل الجثة ..

وعلى ضوء الكشاف قرأ تلك العبارة :

ـ « لا تستخدموا الأنفاق السرية .. »

* * *

ـ ٦ ـ

للمرة الثالثة ارتفع رنين جرس الباب فى منزل العقيد السابق (مدحت المنياوى) ..

وهنا استيقظ (مدحت) ..

تنبه فجأة فى فراشه على صوت الرنين ، فقام بحركة عصبية أيقظت زوجته التى قالت :

ـ « ما الذى حدث ؟! »

وقبل أن يجيبها ارتفع الرنين للمرة الرابعة ليجيب عن سؤالها ، فعادت تقول :

ـ « من الذى أتى إلينا فى مثل هذا الوقت ؟! »

أجابها بعصبية :

ـ « لست أدرى .. »

ثم نهض مردفًا :

ـ « ابقَى أنتِ .. سأذهب لأرى من ..... »

وبتوتر ارتدى روبًا أنيقًا قبل أن يتجه إلى الباب ، وهو يفرك عينيه بعصبية ، ومزيج من الحنق والقلق يساوره ..

وفتح الباب ..

وشهق بذهول وارتياع ..

فأمامه كان هناك رجل طويل القامة ، متين البنيان .. يرتدى ملابس سوداء عجيبة ، وقناعًا أسود يغطى ملامحه ، مع منظار للرؤية الليلية ..

وبهلع هتف (مدحت) :

ـ « ما هذا ؟! »

وتراجع بسرعة ليغلق الباب وليلتقط مسدسه من جيب منامته واستدار ، و ...

وخلفه بالضبط كان يقف ذات الشبح المدثر بالسواد بقامته المديدة ..

وبرعب حقيقى هتف :

ـ (مستحيل) ..

ولكن الشبح انقض عليه فجأة ليختطف المسدس من يده ، وليقبض على ذراعيه بقوة عجيبة ، فى اللحظة التى دخل فيها الشبح الأول من الباب بعد أن فتحه بوسيلة ما ..

وعلى إثر صياحه خرجت زوجته من غرفتها وهى تهتف :

ـ « ما الذى حدث ؟! »

ولكن شبحًا ثالثًا اعترض طريقها وهو يقول بصوت عميق قوى :

ـ « الزمى حجرتك يا سيدتى .. »

وقبل أن تنطق بحرف آخر ، كان رذاذ مخدر ينطلق فى وجهها ليعيدها إلى نومها مجددًا ..

وبفزع صرخ (مدحت) :

ـ « ما هذا ؟! من أنتم ؟!

تجاهل الشبح الذى يقيده سؤاله ليقول بصوت عميق هو الآخر :

ـ « (مدحت المنياوى) .. مَنْ صاحب الشحنة التى سمحت بتهريبها منذ شهرين ؟ »

كان هجوم الأشباح الثلاثة مع الظلام الدامس كافيان لبث الرعب فى قلب (مدحت) .. إلا أنه تماسك ليقول :

ـ « عمّ تتحدّث بالضبط .. إننى ... »

قاطعه الشبح الثانى :

ـ « إنك ستلقى مصرعك مع الملايين إن لم تجب ... »

فاجأت العبارة (مدحت) الذى توقف لحظة ثم عاد يهتف بعصبية :

ـ « لست أدرى عمّ تتحدّث .. وأنا أحذرك من جراء ما تفعله ، فأنا عقيد سابق فى الجيش ، و ...

عاد الشبح يقاطعه ليقول :

ـ « ونحن من وزارة الدفاع ، وسوف نمنحك دقيقة واحدة لتجيب عن السؤال ، وبعدها أعدك أنك ستتمنى لو كنت أجبت بمفردك .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « أعنى أن حماقتك هذه أدت إلى دخول قنبلة جرثومية إلى (القاهرة) ، ستنفجر بعد أقل متن ثلاث ساعات .. وهذا يضعنى أمام خيارين .. حياتك أو حياة ملايين المصريين .. »

شهق (مدحت) فى هلع مرددًا :

ـ « قنبلة نووية !! مستحيل !! »

شدّد الشبح الأول من ضغطه على ذراعيه وهو يقول :

ـ « الدقيقة شارفت على الانتهاء .. »

تردّد (مدحت) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ « لا علاقة لى بقنبلتكم هذه .. لقد كان ما سمحت بتهريبه شحنة من الأجهزة الممنوع تداولها .. »

ـ « من صاحب هذه الشحنة ؟ »

ـ « لست أدرى .. لقد كانت فى صندوق واحد ، جاء رجل لينقلها بشاحنته ، و ... »

ـ « من هذا الرجل ؟ »

ـ « رجل ما .. يدعى (عزت وجدى) .. ولقد أرسله صاحب الشحنة وأرسل معه النقود ... »

ـ « كيف يبدو (عزت وجدى) هذا ؟ »

ـ « قصير القامة .. ذو بشرة بيضاء .. قصير الشعر .. هذا كل ما أذكره عنه ... »

ـ « وإلى أين أخذ شحنته ؟ »

ـ « إلى (القاهرة) .. لست أدرى أين بالضبط .. آه رقم الشاحنة كان (.....) »

ـ « وماذا عن صاحب الصفقة ؟ »

ـ « لم أره مطلقًا .. فقد تحدث إلىّ بالهاتف ، وكانت لكنته أجنبية .. »

ـ « أهذا كل ما لديك ؟! »

ـ « نعم .. آه .. ثمة شىء نسيته .. لقد كانت هناك شخص ما فى الشاحنة التى نقلت الشحنة المهربة .. »

ـ « من هو ؟! »

ـ « إنه ذلك الرجل الذى ألقيتم القبض عليه منذ عشرة أيام .. (مختار المليجى) .. »

نطق الاسم ، فتبادل الأشباح الثلاثة نظرة سريعة ، ثم قال الشبح الذى يقيده :

ـ « هذا يكفى ... »

وعلى الفور شعر (مدحت) بجسده يطير ثم يدور حول نفسه ليصطدم بالحائط ، ثم يرتد عنه ليسقط على الأرض ..

وإذ انتبه مرة أخرى إلى ما حوله كان الأشباح الثلاثة قد اختفوا ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الواحدة والربع صباحًا .. »

- « الأنفاق السرية هى الحل .. »

قالها وزير الداخلية متوترًا ، فتبادل وزير الدفاع ، ومدير المخابرات نظرة سريعة ثم عادا ينظران إليه فتابع :

- « الخبراء قدروا أنه لو تم الاستعانة بالجيش ، فسيساعد هذا على نقل ثلثى سكان (القاهرة) فى حدود ساعتين ونصف .. والثلث الباقى سيلجأ إلى الأنفاق السرية ..

وصمت منتظرًا ردهما ، فهز مدير المخابرات كتفيه ، قائلاً :

- « رائع .. عظيم .. هل لك أن تخبرنا إذن ما هى هذه الأنفاق السرية التى تتحدث عنها بهذه الحماسة ؟ »

- « إنها أنفاق خاصة .. لا يعلم بأمرها سواى والرئيس شخصيًا .. وهى تقع على عمق ثلاثين مترًا من سطح الأرض ، وهذه الأنفاق متداخلة ومتشابكة ، بحيث تكفى لاستيعاب خمسة ملايين مواطن دفعة واحدة .. »

هتف وزير الدفاع منبهرًا :

- « خمسة ملايين مواطن ؟! »

- « نعم .. إنها تمتد على مسافة مئات الكيلومترات ، وكلها تقود إلى مخرج سرّى فى (الإسكندرية) .. »

سأله مدير المخابرات باهتمام :

- « ولكن لماذا تم بناء مثل هذه الأنفاق .. وكيف تم الأمر بهذه السرية ؟! »

- « إننا فى عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين .. وما هى إلا بضعة أشهر حتى ندخل القرن الحادى والعشرين ، وأول ما توقعه الخبراء فى هذا القرن ، هو حرب نووية عاصفة بعد ذلك الانتشار غير المحدود فى الأسلحة النووية خاصة .. فى دول العالم الثالث .. وموضوع الأنفاق هذه لسنا أول من فكر فيه .. فهناك مثلها فى (أمريكا) و(روسيا) و(ألمانيا) .. أما عن سرية مثل هذه الأنفاق .. فهذا حتمى لمنع استخدامها فى أغراض أخرى .. »

هزّ المدير رأسه متفهمًا ، فى حين سأل وزير الدفاع :

- « هل بدأت إجراءات الإخلاء ؟! »

تنهَّد الوزير مجيبًا :

- « لقد ألقيت بيانًا من فورى ولا بد أن أبواق الإنذار تدوى الآن فى كل بقعة من القاهرة ، وأرجو أن يتكفل رجالك بالباقى .. »

أجابه وزير الدفاع :

ـ « رجالى على استعداد للتضحية بأرواحهم من أجل أمن المدنيين ، ولكن ... »

ـ « ولكن ماذا ؟ »

ـ « ولكن عامل الوقت هذا .. ثمة شىء واحد أهملناه ، وهو الوقت اللازم لإخلاء (القاهرة) من رجال الجيش أنفسهم بعد أن يتموا مهمتهم ... »

ـ « ماذا تعنى ؟! »

ـ « أعنى أن الرجال على الاستعداد للتضحية بحياتهم إن استلزم الأمر .. ولكن فكرة (مصر) بلا (قاهرة) كافية لجعلها هدفًا استعماريًا ، فماذا عن فقد الجيش أيضًا ؟ »

بادره مدير المخابرات متسائلاً :

ـ « ماذا عن هذه الأنفاق .. ألا يمكنها استيعابهم ؟ »

« ربعهم فقط .. مع فقدان الأسلحة والعتاد ... »

سأله وزير الدفاع :

ـ « ألا توجد أمامنا خيارات بديلة ؟ »

ـ « نعم .. أن نجد القنبلة .. »

قال كلمته ليسود الصمت المكان ..

ثم يرتفع صوت رنين الهاتف ، فالتقط الوزير سماعته ، ووضعها على أذنه قائلاً :

ـ « هنا الوزير .. »

أتاه صوت (سليم شهاب) :

ـ « سيدى .. لقد عثرت على جثة جديدة .. وإلى جوارها عثرت على وريقة صغيرة عليها عبارة ما .. »

ـ « وماذا تقول هذه العبارة ؟ »

ـ « لا تستخدموا الأنفاق السرية .. هذا هو المكتوب يا سيدى .. »

★ ★ ★

ـ ٧ ـ

(القاهرة) كلها استيقظت فى تلك الليلة ..

أبواق الإنذار كانت تردد ذلك الدوى الرهيب المتصل ..

عربات الجيش كانت تقتحم الشوارع والأحياء .. حتى الأزقة ..

فى كل مذياع .. وفى كل شاشة تلفزيون .. فى أى مكان .. أى مكان .. تردّد هذا النبأ على لسان وزير الداخلية :

ـ « أيها السادة المواطنون .. أرجو الانتباه .. لدواعى أمنية بحتة ، واستجابة لحالة طوارئ قصوى ومن الدرجة الأولى .. سيتم إخلاء (القاهرة) وبأقصى سرعة ممكنة .. »

نرجو التعاون التام والمطلق مع رجال الجيش ، والالتزام بطاعة أوامرهم حفاظًا على حياة الجميع .. أكرّر .. الطاعة العمياء من أجل حياة الجميع .. أى محاولات لإثارة الذعر أو الشغب ستلقى ردًا رادعًا فوريًا .. ستقوم وحدات الجيش بنقلكم إلى أماكن آمنة ، فنرجو الالتزام وضبط النفس ..

وانتهى النبأ .. ثم بدأ يتكرّر من جديد ..

ولكن القليل من احتاج إلى أن يسمعه مجددًا ..

فأبواق الإنذار كانت قد أيقظت الجميع فعلاً ..

وجاء النبأ ليزيل أى آثار للنوم من أعين الجميع ..

إخلاء (القاهرة) ؟! والآن ؟!

إن هذا ليس كفيلاً بإحداث حالة ذعر عام فحسب ..

بل هو كفيل بقلب (القاهرة) كلها رأسًا على عقب ..

إخلاء (القاهرة) .. لماذا ؟! وكيف ؟!

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

وفى القصر الجمهورى كانت وحدة كاملة من رجال الجيش تتحرّك داخل القصر بتوتر وانفعال ..

وكان قائد الوحدة فى استقبال الرئيس الذى وقف إلى جوار زوجته ليقول بحزم :

ـ « نحن جاهزان .. »

أجابه القائد :

ـ « عظيم .. ستقلكما الآن طائرة إلى المقر المؤقت فى (الإسكندرية) ، حيث تباشر مهامك ..

تبعه الرئيس وزوجته حتى بلغا طائرة حربية خاصة كانت تنتظرهما فى الفناء ، ولم يكادا يصلان حتى التفت الرئيس إلى قائد الوحدة ليقول بحزمه الشهير :

ـ « حياة المصريين تهمنى وبشدّة .. اعملوا على حفظها .. »

ـ « بإذن اللّه يا سيادة الرئيس .. »

ـ « بالتوفيق ..... »

وانطلقت الطائرة إلى المقر الجديد ..

وعلى بعد عدة كيلومترات ، كانت هناك طائرة أخرى خاصة تقل الوزراء وأسرهم ..

إلا وزيرين ..

وزير الداخلية ، ووزير الدفاع ..

ومدير المخابرات الذى كان جالسًا معهم فى حجرة الاجتماعات الخاصة فى مبنى وزارة الداخلية ..

وأمام المبنى كانت هناك طائرة ثالثة تنتظر ..

وفى الأعلى كان قائد وحدة الجيش يقول :

ـ « هيا أيها السادة .. الطائرة مستعدة بالأسفل .. »

أجابه وزير الداخلية بصرامة مَنْ لن يقبل النقاش :

ـ « اذهبوا أنتم .. سأنتظر حتى النهاية .. »

ـ « ولكن يا سيدى .. »

ـ « ولكن الأمن الداخلى مسئوليتى ، وأنا لم ولن أتخلى عن مسئولياتى قط .. »

تابع مدير المخابرات :

ـ « وأنا لا أستطيع الانتقال حتى يتم نقل كل الملفات والوثائق إلى المبنى الجديد .. وسأذهب حالاً للإشراف على ما يحدث بنفسى .. »

التفت قائد الوحدة إلى وزير الدفاع قائلاً :

ـ « وماذا عنك يا سيادة الوزير ؟ إن زوجتك تنتظر فى الطائرة .. »

تبادل الوزير نظرة طويلة مع المدير ووزير الداخلية ، ثم جذب نفسًا عميقًا ليقول :

ـ « سألحق بكم حالاً .. »

ـ « حسن ، سأستعد للإقلاع .. فى انتظار سيادتكم .. »

هزّ الوزير رأسه مجيبًا ، ثم التفت لرفيقيه ليقول :

ـ « حسن .. أتمنى لكما التوفيق .. مستقبل (مصر) أمانة فى عنقكيما .. »

وصافحهما بحرارة ، ثم انطلق ..

وفى الطائرة كانت زوجته تنتظره بلهفة ، وهى تقول :

ـ « لماذا تأخرت ؟ وما الذى حدث ؟ »

ربت وزير الدفاع على كفها يطمئنها دون أن يجيب ..

وبلا مقدمات فتح باب الطائرة وقفز .. وبمهارة رجل جيش خبير .. هبط على الأرض .. ثم وقف لحظة ليطمئن إلى أن الطائرة أمامه تبتعد وتبتعد ..

وبدأت مروحة الطائرة تدور ببطء ، ثم بسرعة .. ثم بدأت الطائرة ترتفع عن سطح الأرض ..

وأخذت ترتفع حتى بلغت الحد الكافى ..

وعندئذ التفت الوزير إلى زوجته ليقول برقة :

ـ « زوجتى العزيزة .. أحبك .. سامحينى .. »

وفجأة حلّ حزام مقعده ، ووقف ليقول بصرامة :

ـ « انطلق بالطائرة بلا توقف مهما كانت الأسباب .. هذا أمر .. »

وبلا مقدمات فتح باب الطائرة وقفز ..

وبمهارة رجل جيش خبير .. هبط على الأرض .. ثم وقف لحظة ليطمئن إلى أن الطائرة أمامه تبتعد وتبتعد .. وبهدوء دس كفيه فى جيب سترته ، وعاد إلى داخل المبنى ..

إن (مصر) فى حاجة إليه ، وهو لن يتخلى عنها أبدًا ..

* * *

ـ « والآن لنستجمع ما لدينا .. »

قالها وزير الداخلية بعد أن عاد الاجتماع الثلاثى من جديد .. ثم تابع :

ـ « الفريق الأول استجوب (مدحت المنياوى) ولم يتوصل سوى إلى اسمين .. (عزت وجدى) وهو الذى عثر (سليم شهاب) على جثته بعد أقل من ساعة .. والذى عثر أيضًا على عبارة (لا تستخدموا الأنفاق السرية) .. أما الاسم الثانى فهو الرجل الذى كان مع (عزت وجدى) عند نقل الشحنة وهو (مختار المليجى) ذلك الرجل الذى قام بعملية اغتيال السفير المصرى السابق .. »

قال مدير المخابرات :

ـ « لنبدأ أولاً بموضوع الأنفاق السرية .. أنت تقول إنك والرئيس فقط كنتما تعرفان أمرها .. فكيف عرف ذلك الوغد بوجودها ؟! »

تدخل وزير الدفاع ليجيب :

ـ « من الفريق الذى قام بحفر وتصميم الأنفاق .. »

أجابه وزير الداخلية :

ـ « ربما .. برغم أن الأمر كان فى أقصى درجات السرية .. المهم .. ما سر عبارته هذه ؟ وما الذى فعله فى الأنفاق ؟! »

ـ « ربما زرع فيها قنابل .. إنه لن يتورع عن فعلها .. »

ـ « وهذا يعنى أنه يجب فحص الأنفاق كلها قبل نقل المواطنين إليها .. وأن يتم هذا فى أقل من ساعة .. »

ـ « وهل تعتقد أن الوقت يكفى لهذا ؟ »

ـ « الوقت أساسًا لا يسمح بأى شىء ..

نحن نسعى فحسب وسنظل نسعى حتى اللحظة الأخيرة ، وليرحمنا اللّه بعدها .. »

ـ « حسن .. هل أرسل فريقى لتمشيط الأنفاق ؟! »

ـ « أعتقد أن هذا أفضل خيار لدينا الآن .. »

تدخل مدير المخابرات ليقول :

ـ « وماذا عن (مختار المليجى) ؟ مَنْ سيستجوبه ؟ »

أجابه وزير الداخلية على الفور :

ـ « هذا الرجل ليس من النوعية التى يمكن إرهابها بالقوة .. وأعتقد أن أصلح مَنْ يقوم باستجوابه فى الظروف الحالية هو (سليم شهاب) نفسه .. »

ـ « ولكن هذا خارج نطاق تخصصه .. »

ـ « عندما تراه وهو يعمل لن تعرف بالضبط ما هو الذى خارج نطاق تخصصه ! »

ـ « لا بأس .. هيا إذن لنبدأ .. فلا وقت لدينا .. »

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الواحدة وأربعون دقيقة صباحًا .. »

ـ ٨ ـ

عشر دقائق فقط مضت على إلقاء النبأ ..

بعدها اكتظت شوارع (القاهرة) بالملايين ..

وبالطبع بدأت بوادر حالة ذعر عام فى الظهور .. كالعادة فى مثل هذه الأمور ..

أحدهم يطلق إشاعة خرقاء فيرددها آخر فآخر .. وفجأة الشعب كله يردّد أن (إسرائيل) ستبدأ فى قصف (القاهرة) بالصواريخ ذات الرءوس النووية !!

وهكذا بدأت حالة الذعر العام خفية ثم أخذت تطفو على السطح رويدًا رويدًا ..

وبذل رجال الجيش قصارى جهدهم للسيطرة على الوضع قدر المستطاع ..

وفى وسط الملايين التى اكتظت بها شوارع (القاهرة) .. كان هناك ثلاثة أشباح يشقون طريقهم بصعوبة ..

برغم أن مظهرهم كان يثير فزع من يراهم بشدة .. إلا أن هذا لم يكفِ ليساعدهم على تجاوز الحشود الهائلة أمامهم حتى بسيارتهم السوداء الخاصة والتى لم ير أحد مثلها قط ..

وأخيرًا توقفت سيارتهم أمام أحد الأزقة الذى خلا تمامًا من المارة ، ومن حشود المواطنين ..

وترجل الأشباح الثلاثة من سيارتهم ، وانطلقوا يعدون بخفة حتى بلغوا إحدى فتحات الصرف فى الشارع .. فتعاون اثنان لنزع غطائها .. ثم وبلا تردُّد هبط الثلاثة فى فتحة الصرف ..

ولم تكد أقدامهم تلمس الأرض حتى أضاءوا مصابيح صغيرة قوية مثبتة على رءوسهم ..

كانوا يقفون فى ممر ضيق نوعًا ما ينتهى ببوابة حديدية هائلة الجسم ..

وبصوته العميق تحدث الشبح الأول ، والذى كان هو (نبيل فواز) قائد الفريق :

ـ « ها هو ذا المدخل .. الأوامر الصادرة إلينا أن نقوم بفحص شامل لهذه الأنفاق ربما نجد أى شىء .. المهم أن تتم هذه المهمة فى أقل من ساعة أو ساعة على الأكثر .. »

سأله الشبح الثانى ، والذى كان يدعى (فوزى همام) :

ـ « وكم تمتد هذه الأنفاق ؟ »

ـ « إنها حسب الخريطة التى نقلت إلىّ على الكمبيوتر ، أنفاق متداخلة متشابكة ، ذات عشرات الفتحات الموجودة فى أماكن سرية فى (القاهرة) .. ومجموع أطوالها يبلغ حوالى الثلاثمائة كيلو متر .. »

ـ « ولكن الوقت إنه ... »

ـ « لا وقت للمناقشة .. سنبذل قصارى جهدنا مهما كان الثمن .. »

تدخل الشبح الثالث ليقول حاسمًا الموقف :

ـ « حسن .. هيا بنا إذن .. »

اتجه (نبيل) إلى البوابة الضخمة ، ثم قال بصوت قوى :

ـ « استعدا .. »

ثم أخرج من جهاز مثبت على ذراعه سلكين طويلين دس طرفيهما فى فجوة الباب ثم قرب الجهاز المثبت على ذراعه من فمه ليقول :

ـ « افتح ... »

تابع الشبح الثالث ساخرًا :

ـ « يا سمسم .. »

وأمامهم انفتح الباب العملاق ..

وبدأت الأنفاق تضيء تدريجيًا ، وأجهزة تهوية خاصة بدأت العمل ..

وتبادل الأشباح الثلاثة نظرة سريعة ، ثم دخلوا ...

ولم يكن أحد منهم يعرف الهول الذى ينتظرهم بالداخل ..

★ ★ ★

كانت مغامرة حقيقية ما فعله (سليم شهاب) ..

أن يقود سيارته ـ بأقصى سرعة ممكنة ـ وسط الحشود التى تسد الطريق حوله ، وفى نفس الوقت كان يقرأ بيانات (مختار المليجى) على الكمبيوتر الخاص به ، والتى نقلتها له شبكة الاتصالات التابعة لوزارة الداخلية ..

عليه أن يستجوب هذا الرجل ..

بعد اتصاله بالوزير ـ الذى أسند إليه هذه المهمة ـ عرف أن ذلك الرجل كان مع (عزت وجدى) الذى قام بنقل القنبلة النووية ..

وهذا يعنى أنه يعرف الكثير ..

ومهمته هو أن يعرف هذا الكثير ..

صحيح أن الملف الذى يقرؤه الآن على الشاشة يؤكد أنه من النوع الذى يصعب استدراجه فى الحديث ..

حتى بعد أن نفذ عملية الاغتيال .. لم يقل حتى سبب تنفيذ هذه العملية ..

فقط كل ما حصلوا عليه هو الصمت المستفز الرهيب ..

ولكن الوقت لا يسمح بالمراوغة ..

التهديد لن يجدى فتيلاً مع مثل هؤلاء الأشخاص ..

أن تهدده فهذا يعنى أنك تخشاه .. وهذا يملؤه زهوًا وحبورًا ..

هذا النوع من الأشخاص يشبهون إلى حد ما شخصية (هانيبال) آكل لحوم البشر فى رواية (صمت الحملان) لـ (توماس هاريس) ..

وهؤلاء يحتاجون إلى أسلوب خاص فى التعامل ..

فقط عليه الآن أن يقبض على أعصابه ، ولا يسمح له باستفزازه .

فقط لأن الوقت لا يسمح بهذا ..

وعندما وصل ـ أخيرًا ـ إلى السجن .. كان قد انتهى من قراءة الملف ..

وفى السجن أمامه .. كانت وحدة من وحدات الجيش تقوم بنقل المساجين فى عربات مصفحة خاصة ..

وبتوتر غمغم (سليم) :

ـ « يبدو أننى تأخرت .. »

وغادر سيارته بسرعة هاتفًا فى أقرب الجنود إليه :

ـ « أين مدير السجن ؟

أشار الجندى إلى أحد الأشخاص ، فأسرع (سليم) إليه قائلاً :

ـ « عذرًا .. هل أنت المدير ؟ »

التفت إليه الرجل ورمق جسده الضخم وقامته الطويلة بشك ليجيب :

ـ « نعم ، أنا هو .. ماذا تريد ؟ »

أخرج (سليم) هويته بانفعال قائلاً :

ـ « أنا (سليم شهاب) .. أريد استجواب أحد المساجين .. »

ـ « ماذا ؟ الآن !! »

ـ « لا وقت للمناقشة .. لدى تفويض من وزارة الداخلية .. »

ـ « ومَنْ هو هذا التعس ؟ »

ـ « (مختار المليجى) .. »

بدأت بوادر الارتياح تظهر فى وجه مدير السجن ، وهو يقول بإخلاص :

ـ « إنه لك .. أرجو أن يشمل التفويض الذى تحمله قتله أيضًا :

ـ « للأسف لا .. فقط استجوابه .. هل تم نقله ؟ »

ـ « لا .. ما زال ينتظر نقله فى زنزانته الانفرادية فى الدور الرابع .. »

ـ « لن يتم نقله إذن .. »

ـ « كما تشاء .. »

وعلى الفور أسرع (سليم) إلى الداخل .. وتجاوز صفوف المساجين .. ثم قفز على درجات السلم حتى بلغ الدور الرابع ..

وهناك كان أحد الضباط يستعد لنقل مساجين الحبس الانفرادى عندما هتف (سليم) فيه :

ـ « انتظر .. (مختار المليجى) لن يتم نقله معكم .. »

فوجئ بالضابط يبتسم بانتشاء ، قائلاً :

ـ « لا بأس .. لن نخسر كثيرًا بدونه .. »

وبسرعة قام بنقل باقى المساجين وبدأ يهبط بهم ، بينما التقط (سليم) نفسًا عميقًا .. ثم اتجه إلى زنزانة (مختار المليجى) ..

وأزاح المزلاج الحديدى .. وفتح الباب ..

ـ « هل جئت لتسألنى عن القنبلة ؟ »

ها هو ذا (مختار) بجسده الضئيل وعينيه النافذتين يأخذ زمام المبادرة ..

وها هو ذا (سليم) يقف أمامه حائرًا كما فعلت (جودى فوستر) أمام (أنتونى هوبكنز) فى فيلم (صمت الحملان) ..

ـ « لا بد أن هذا هو السبب .. هل بدأتم فى إخلاء السجن ؟ هذه الضجة تشير إلى ذلك .. »

ها هو ذا يتابع بنبراته الهادئة الواثقة ، وبروده المتناهى ..

تماسك يا (سليم) .. إنها لعبة أطفال فحسب ..

انس الوقت قليلاً ، وتناس موضوع القنبلة هذه ، وسيطر على أعصابك ..

ومادام هذا الوغد يعشق الطريق المباشر فليمنحه إياه إذن ..

ومحافظًا على انفعالات وجهه هادئة ، قال (سليم) :

ـ « نعم .. القنبلة على وشك الانفجار بالفعل .. وأنا هنا لمعرفة ما يمكن أن ينقذ الموقف .. »

ـ « إذن .. أنتم فى حاجة إلىّ .. »

ـ « يبدو هذا .. »

ـ « وما المقابل إذن ؟ »

باغت السؤال (سليم) .. إنه ليس من حقه أن يمنحه أى مقابل .. ولكن الخداع لن يضير الآن .. لذا فقد أجاب بذات النبرات الهادئة :

ـ « البراءة .. »

كان هذا هو أول خاطر خطر لـ (سليم) .. فالمحكوم عليه بالإعدام لن يتمنى ما هو أفضل ..

ولا بد أن هذا سيحل لسانه ..

ـ « لا يكفى .. »

قالها (مختار) بصرامة مباغتة .. وعيناه النافذتان تومضان بشدة ..

ووضع إحدى ساقيه على الأخرى فى حركة مستفزة متابعًا :

ـ « براءتى أمر مفروغ منه .. حتى قبل أن أدلى بأى حرف .. إن لى مطالب أخرى .. »

تماسك يا (سليم) تماسك .. لا تفقد أعصابك الآن ..

وكاظمًا غيظه قال (سليم) :

ـ « وسيادتك هل ستتكرم وتقول لى هذه المطالب .. أم تريد الرئيس نفسه لتناقشه فيها .. »

أجابه (مختار) بفتور :

ـ « ظريف .. »

اللعنة !! يا إلهى .. سأسلخه حيًا إن تمادى ..

ودون أن يظهر هذا كله على وجه (سليم) قال مختصرًا الوقت :

ـ « الواقع أن الوقت لن يسمح لتنفيذ مطالبك قبل انفجار القنبلة ، وعلى هذا الأساس .. فأنا سأكتفى بالعرض الأول فقط إن تعاونت الآن ، وبلا إبطاء ..

ـ « لا يكفى .. »

ـ « أما إن استمررت فى عنادك اللطيف هذا .. فسأغلق عليك هذا الباب الحديدى من الخارج وأغادر السجن بضمير مرتاح .. وسيكون عليك عد الدقائق الباقية قبل انفجار القنبلة الجرثومية .. »

بدأ نوع من الاضطراب يغزو ملامح (مختار) الواثقة ، واحتاج منه الأمر إلى دقيقة كاملة قبل أن يقول :

ـ « هذا .. هذا ليس من حقك .. »

تابع (سليم) بذات البرود :

ـ « من قال هذا ؟ »

ـ « يجب عليك استجوابى ، وإن تركتنى لن تحصل منى على حرف .. »

ـ « فليحاكمونى بعد انفجار القنبلة .. مَنْ يدرى ؟ ربما منحونى وسامًا .. »

مضت ثلاث دقائق هذه المرة .. ثم قال (مختار) :

ـ « ومَنْ يضمن لى تنفيذ شرطك ؟ »

ـ « لاضمانات .. إن لم تتحدث ستعدمك القنبلة .. وإن تحدثت فذلك سيغير الكثير .. »

ـ « ليس كما تظن .. »

ـ « ماذا تعنى .. »

ـ « أعنى أن كل ما أعرفه لا يزيد على أن هذه القنبلة محدودة .. لن تدمر أكثر من (القاهرة) على أحسن تقدير .. »

ـ « لم تضف جديدًا .. إلى أين نقلتم القنبلة ليلة تهريبها ؟ »

ـ « إلى ..... مهلاً .. لقد توقفت الضجة .. هل انتهى إخلاء السجن ؟ »

ـ « يبدو هذا ..... »

ـ « فكيف سأخرج أنا إذن ؟ »

ـ « بأن تخبرنى أين القنبلة ... »

ـ « لست أدرى .. »

ـ « ماذا ؟! »

ـ « فعلاً .. لست أدرى .. لقد نقلنا الشاحنة يومها إلى أحد الطرق المهجورة حيث كانت هناك سيارة أخرى أخذناها وابتعدنا حسب الاتفاق .. »

ـ « أهذا كل شىء .. »

ـ « لا .. »

ـ « ماذا إذن ؟ »

ـ « أنا أعرف مَنْ صاحب القنبلة .. »

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الثانية صباحًا .. »

ـ ٩ ـ

« حالة الذعر فى الخارج تتفاقم وبسرعة ..... »

قالها وزير الداخلية وهو ينظر من النافذة إلى الحشود التى أصابها الهلع وأخذت تتحرك بلا انتظام برغم محاولات الجيش ..

وبتوتر قال وزير الدفاع :

ـ « يجب أن يتم نقل معظمهم قبل استخدام الأنفاق فهى لن تستوعب الجميع حتمًا .. »

ـ « هذا يتوقف على ما سيعثر عليه فريقك فى الأنفاق .. »

تابع مدير المخابرات :

ـ « وعلى الوقت الذى سيستغرقه هذا أيضًا ..... »

ـ « المشكلة أن الاتصال بهم مقطوع تمامًا .. فالأنفاق مبطنة بالرصاص .. فلن يمكننا على الأقل معرفة أى قطاع آمن من الأنفاق حتى يخرجوا .. »

ـ « إذن .. فلا يوجد ما نفعله سوى الانتظار .. »

ـ « وماذا عن (سليم شهاب) ؟ »

ـ « إنه يستجوب الآن (مختار المليجى) .. لعله يصل إلى شىء .. »

ـ « أشك فى هذا .. فهذا الوغد لم يتحدث بحرف واحد منذ أن قبضنا عليه .. فحتى عندما سمع حكم الإعدام لم ينطق قط .. »

ـ « إننا نسعى فحسب .. »

ـ « الشىء الوحيد الذى يثير دهشتى .. هو ذلك الوغد صاحب القنبلة .. لماذا لم يحاول أن يساومنا ؟ إن له اليد العليا فى الأحداث الآن .. ولست أشك فى أنه سيحصل على أى مطالب يطالب بها مقابل إيقاف القنبلة .. »

ـ « ربما ينتظر اللحظة الأخيرة .. حين لا يكون هناك مفر .. »

ـ « وماذا عن وقت تنفيذ مطالبه ؟ »

ـ « لست أدرى .. ولكن الأمر لا يبدو وكأنها عملية إرهابية أو انتقامية .. فهذا الوغد يترك لنا دائمًا طرف خيط .. وكأنما هو يتسلى بمتابعتنا .. »

اعتدل مدير المخابرات على مقعده ، قائلاً :

ـ « مهلاً .. هذا يعنى أنه ما زال فى (القاهرة) ليتابعنا ..»

ـ « ربما .. »

ـ « ولكن ماذا لو انفجرت القنبلة ؟ كيف سينجو إذن ؟ »

ـ « لست أعتقد أن هذا يثير قلقك حتمًا .. »

ـ « لا بالطبع .. ولكن يثير تساؤلى .. فأغبى شخص فى مكانه لن ينسى قط احتمال أن يفشل مخططه ، وبالتالى يجب أن يؤمن لنفسه هروبًا سريعًا مؤمنًا .. سواء انفجرت القنبلة أو لم تنفجر .. »

ـ « هل تعنى إذن أن طريقة هروبه قد تقودنا إليه .. »

ـ « بالطبع .. »

ـ « ربما .. حسن .. بالتأكيد سنستثنى جميع المنافذ البحرية .. فحتى قوارب النيل السريعة لن يجد وقتًا لاستخدام أحدها ، فى حالة ما إذا أراد أن يتابع الموقف لنهايته .. »

ـ « ماذا عن المنافذ البرية إذن ؟ »

ـ « ذات المشكلة .. سرعة الهروب والوقت المتبقى .. لا .. لست أظنه يلجأ لهذه الوسيلة .. »

ـ « هذا إذن يحصر منافذ هربه فى احتمالين .. هروب جوى ، أو الاحتمال الأسوأ ، وهو أن يحاول أن يتخذ الأنفاق السرية فى حالة انفجار القنبلة .. »

ـ « لنبدأ بالاحتمال الأول إذن .. »

والتقط هاتفه الداخلى ليقول :

ـ « يجب أن نحصل على قائمة فورية بأسماء كل من استأجروا طائرات خاصة فى الأيام القليلة الماضية ..

تابع المدير :

ـ « ولنأمل أن ينجح فريقك فى حل مشكلة الأنفاق سريعًا .. »

وصمت لحظة ، ثم تابع :

ـ « ولكن .. هل تعتقد أن ثلاثتهم سيكفون .. أعنى كوقت وليس ككفاءة .. »

ـ « إنهم أفضل فريق لدينا فى الوقت الحالى .. وأسرعهم أيضًا .. ولكن هذه العمليات لدينا هنا كلها مجهولة .. كل ما نعرفه أن ثمة شىء ما يجرى فى الأنفاق .. »

ما هو ؟ مَنْ وَرَاءَهُ ؟ كل هذا مجهول حتى الآن ..

وربما كان إرسال عدد كبير من الرجال السبب فى حدوث كارثة .. كنسف الأنفاق مثلاً ..

ثم هناك (نبيل فواز) .. إنه يذكرنى بك فى شبابك يا (أكرم) ..

ابتسم المدير ابتسامة هادئة ، ثم قال :

ـ « كلنا نعمل من أجل (مصر) .. »

أجابه الوزير :

ـ « بالتأكيد .. »

وعاد لصمته من جديد ، فعاد الوزير ينظر إلى النافذة ، وإلى سيارات الجيش وقوات الأمن المركزى ، التى كانت تسيطر على الموقف تمامًا خارج الوزارة ، بينما وزير الدفاع يجرى سلسلة من الاتصالات المتوالية مع قادة فرق الجيش التى تقوم بنقل المدنيين إلى الخارج ..

كان يجرى تلك السلسلة من الاتصالات ، وأمامه خريطة ضخمة لـ (القاهرة) ومنافذها ..

والعلامات الحمراء منتشرة على الأماكن الحرجة فيها ، والتى قد يصعب الوصول إليها بسرعة ، وإمكانية توصيل المواطنين فى تلك المناطق إلى الأنفاق السرية ..

وبرغم كل هذا ..

كان هناك خاطر واحد يراود الثلاثة ..

خاطر مخيف مقلق ..

أن تختفى هذه الخريطة ..

من خريطة (جمهورية مصر العربية) ..

وإلى الأبد ..

* * *

ـ « الوقت المتبقى لن يكفى حقًا .. »

قالها (نبيل فواز) وهو يستقل شيئًا يشبه الدراجة النارية ، وإن كان يطير عن الأرض بمساعدة قاذفات لهب سفلية وإلى جواره الشبحان الآخران على دراجات طائرة مشابهة ..

كانت تلك الدراجات والتى صممت لتكون وسيلة طوارئ قصوى فى حالة وجود حالة لجوء عامة للأنفاق .. حجمها وسرعتها سيفيان بالغرض حينها ..

ولكن الآن .. استخدامها لمسح الأنفاق كلها ، فهذا هو المستحيل بعينه ..

لأن الوقت لا يكفى حتمًا ..

الوقت .. الوقت ..

قال الشبح الثانى رافعًا صوته لكى يسمعاه :

ـ « ما الذى تقترحه أيها القائد ؟ »

ـ « أن نفترق لكى نغطى مساحة أكبر فى وقت أقل .. »

ـ « وماذا لو تعرض أحدنا لخطر ما ؟ »

ـ « سيلقى قنبلة فسفورية على الفور ويرسل إشارة الإنذار .. وسنحدد مكانه عن طريق الضوء الذى ستصدره القنبلة .. »

ـ « حسن .. لا بأس بهذا .. »

بلغوا فى تلك اللحظة مفترق طرق ينقسم إلى فرعين ، فاتجه إليه الشبح الثانى دون إضافة .. وتابع (نبيل) والشبح الآخر قليلاً ثم افترقا فى ثانى مفترق ..

وهكذا أصبح كل واحد بمفرده ..

وداخل كل واحد فيهم كانت رهبة عجيبة تتولد ..

أن تطير على دراجة عجيبة ولأول مرة .. فى ممرات يبدو وكأنها لا تنتهى ، وتتفرع وتتشابك طيلة الوقت .. عالمًا أن عقارب ساعتك التى تتحرك الآن ، تعنى أن الوقت المتبقى أقل ..

الوقت المتبقى قبل انفجار القنبلة الجرثومية التى ستطيح بـ (القاهرة) كلها ..

ـ لماذا لا تتحرك هذه الدراجات بسرعة أكبر ؟!

لا بد أن هذا ما دار فى خاطر الجميع أو على الأقل فى خاطر الشبح الأول الذى تمتم :

ـ « اسرعى أرجوكِ .. لا وقت لدينا .. »

وباتعطافة ماهرة دلف إلى أحد تفرعات النفق الذى كان يسير فيه ..

حتى الآن .. لا شىء ..

لا شىء يستدعى القلق ..

الأنفاق خاوية تمامًا ، وجدرانها المصقولة تقول أن لا شىء غير طبيعى هناك .. حتى جهاز الكشف بالتردّد الذى يحمله لم يلتقط أى شىء غير طبيعى ..

ماذا إذن ؟

لماذا يشعر وكأن هناك صوتًا يهمس فى أذنه وبإلحاح ، قائلاً :

ـ حاذر .. انتبه ..

ما الذى يوجد هناك بالضبط ؟ إن غريزة المقاتل نادرًا ما تخطئ ..

ثمة شىء ما .. ولكن ما هو ؟

وأين هو ؟!

حسن .. لقد شارف هذا الفرع من النفق على الانتهاء .. الآن سيستدير ليعود أدراجه ثم يعاود الدخول فى أحد الفروع الأخرى..

إن برنامج الكمبيوتر الذى يزوده بخريطة على شاشة الدراجة هذا رائع ..

سيعرفه على الأقل أى فرع دخل وأيها لا ، فى خضم هذا التشابك المعقد ..

ها هو ذا الآن يدور دورة كاملة بمهارة ، ثم ينطلق إلى الاتجاه المضاد .. ، و ...

ومن أين جاء هذا الصاروخ ؟!

برز هذا السؤال بغتة فى ذهنه وهو يحدق فى الصاروخ الموجه الصغير الذى كان يندفع نحوه حاملاً ذيلاً من اللهب والأدخنة ..

ورأى الشبح الأول الصاروخ وهو يبلغه ..

وهو يصطدم بالدراجة ..

ثم رأى اللهب .. اللهب يملأ كل شىء حتى هو نفسه ، ثم ...

ثم انتهى أمره بغتة ..

ولا بد أن الأنفاق المغلقة قد رددت دوىّ الانفجار بألف صدى ..

ففى لحظة واحدة .. وفى مكانين مختلفين توقف (نبيل فواز) والشبح الثانى ..

وبلا اتفاق بدأ الاثنان يعودان أدراجهما ..

برز هذا السؤال بغتة فى ذهنه وهو يحدق فى الصاروخ الموجه الصغير الذى كان يندفع نحوه حاملاً ذيلاً من اللهب والأدخنة ..

إن صوت الانفجار هذا غير مطمئن ..

حتى إن الشبح الثانى غمغم بقلق :

- « ترى !! مَنْ المصاب هذه المرة ؟ »

وضـغط زر السرعة القصـوى برغم خطورتها - خاصة فى هذه الأنفاق - ثم انطلق ..

وفى نفس اللحظة انفجرت تلك القنبلة الفسفورية أمام وجهـه تمامًا ..

وبحركة لا إرادية ترك الشبح الثانى المقود ، وتراجع بحدة وشعر بالفراغ فجأة من أسفله ..

وسقط ..

سقط ليشعر بذراعى أحدهما تقبض على رأسه والأخرى على شىء معدنى .. سكين حاد تقريبًا ..

ثم سمع صوتًا يهمس فى أذنه :

- « لا بأس .. لقد انتهى الأمر .. »

ثم ذبحه صاحب الصوت بلا رحمة ..

ولم يجد الشبح الثانى وقتًا ليفهم كل هذا فقط .. انتهى أمره ..

أما (نبيل فواز) فلقد أخذ يدور وينعطف ويندفع عبر الممرات حتى بلغ نقطة البداية التى افترقوا فيها ثم اتجه إلى الممر الذى يبدو منه صوت اللهب واضحًا ..

إن أجهزة الكشف الحرارى يصعب استخدامها مع ذلك اللهب الذى يندفع من الدراجة ..

عليه فقط أن يعتمد على غريزته كمقاتل ..

تلك الغريزة التى تخبره أن شيئًا رهيبًا سيحدث الآن ..

تلك الغريزة التى ..

ها هما رفيقاه !!

يتقدمان نحوه ببطء على دراجتيهما !!

ما الذى حدث إذن ؟!

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الثانية وثلاث عشرة دقيقة صباحًا .. »

- ١٠ -

- « إننى أعرف صاحب القنبلة .. »

لم يكد (مختار المليجى) يقولها حتى عادت الثقة تغزو ملامحه ، وإن اكتست بنوع من الشماتة من نظرة اللهفة التى أطلت من عينى (سليم شهاب) الذى هتف :

- « مَنْ هو ؟! »

استرخى (مختار) فى جلسته ثم قال بهدوء الواثق من نفسه :

- « هذا يعيدنا للحديث عن المقابل .. »

- « ويعيدنا أيضًا لفكرة تركك هنا حتى انفجار القنبلة .. »

أطلق (مختار) ضحكة ساخرة طويلة ممطوطة ، ثم قال :

- « دعك من هذا العبث .. أنت تعرف مثلى أنك بحاجة إلىَ وليس العكس .. ثم إنك تضع حياتى أمام حياة الملايين .. ولست أظنك تسىء الاختيار طويلاً .. »

ها هى ذى لعبة الأعصاب تبلغ ذروتها ..

المشكلة أن التهديد لا يجدى مع هذا الوغد ، وهذا يعنى ..

أن الامتثال التام لرغباته هو الحل الأوحد ..

وهكذا لم يجد (سليم) سوى أن يقول ببطء كاظمًا مشاعره وغضبه :

ـ « ما الذى تريده بالضبط ؟ »

ـ « طائرة خاصة مجهزة تنقلنى من هنا إلى الجهة التى أريدها .. »

كان (سليم) قد توقع شيئًا كهذا ، فاستقبل مطلبه ببرود مجيبًا :

ـ « وماذا أيضًا ؟ »

ـ « رفيقًا للرحلة التى سأقوم بها بالطائرة .. »

ـ « رفيق رحلة ؟! »

ـ « نعم .. شخص ما ظريف يمنع عنى الملل .. »

ـ « ومَنْ هذا الشخص ؟ »

ـ « نائب الرئيس .. »

ـ « ماذا ؟! »

أجابه (مختار) بلهجة رجل أصدر أمرًا قاطعًا لا جدال فيه :

ـ « هذا هو مطلبى .. وأنصحكم بالإسراع .. فالوقت ليس فى صالح أحد .. »

وهنا لم يستطع (سليم) تمالك أعصابه أكثر ..

وبحركة سريعة استل مسدسه ، وسدّد منه رصاصتين اخترقتا الجدار على جانبى رأس (مختار) ، الذى امتقع لونه ، واختفت ثقته ليحل محلها الذعر والدهشة ، و (سليم) يقول بصرامة :

ـ « اسمع أيها الحقير .. ستخبرنى الآن بصاحب القنبلة وكل ما تعرفه عنها ، أو سأقتلك الآن وبلا رحمة .. »

ـ « لن تستطيع .. »

اخترقت رصاصة ثالثة الجدار فوق رأسه تمامًا ، فتضاعف ذعره وهو يصرخ :

ـ « لا .. لن تستطيع .. »

ثم انقض فجأة على (سليم) صارخًا بفزع :

ـ « لن يقتلنى أحد .. سأنجو .. »

وضم قبضتيه ليهوى بهما على وجه (سليم) ، ثم اندفع يعدو إلى الخارج ..

وتراجع (سليم) مع ضربته ، ثم انطلق يعدو خلفه هاتفًا :

ـ « توقف .. »

ولكن (مختار) كان قد أطلق ساقيه للريح عبر الممر الطويل ..

وكان هذا عندما رأى أحد الضباط يهرع عبر السلم إلى نهاية الممر أمامه .. وهو يخرج مسدسه من غمده ..

وكان (سليم) من خلفه يعدو ..

السور المعدنى إلى يساره .. ليقفز إذن ..

وبدون تفكير قفز (مختار) عبر السور المعدنى ليهوى جسده فى الهواء ..

ولم يكد يمس السور المعدنى للطابق الثالث بيديه حتى قبض عليه بشدّة ليتوقف جسده فى الهواء قبل أن يعاود سقوطه مجددًا ..

يداه لم تتحملا وزنه طويلاً ..

ولم يصرخ (مختار) .. حتى عندما بلغ الأرض وتناثرت دماؤه عليها ..

وإذ بلغه (سليم) وهو يلهث .. لم يكن قد لفظ أنفاسه بعد ..

وبلهجة مَنْ يتعلق بآخر أمل .. سأله (سليم) :

ـ « مَنْ هو صاحب القنبلة ؟ أرجوك .. »

تحركت حدقتا عينى (مختار) لتنظرا إليه ، وكأنما تستكشفانه ، كآخر ما ستريان ..

ثم تحامل (مختار) على نفسه ليقول :

ـ « إذ .. هبوا .. إلى .. الجحيم .. »

ولفظ أنفاسه حاملاً معه الإجابة ..

* * *

استمع وزير الداخلية إلى (سليم) عبر الهاتف .. وعندما سمع النهاية صرخ غاضبًا :

ـ « مات .. كيف ؟ لماذا ؟! لقد كان يعرف صاحب القنبلة .. »

ـ « الأمور كانت تدور بسرعة ، ولم أستطع منع حدوث هذا .. »

ـ « ومـا العمـل إذن ؟ لقـد فقـدنا الخيـط .. جذبنـاه بشـدّة فانقطع ..

لم يعد هناك أمل هذه المرّة .. »

ـ « إلا لو أراد هو العكس .. »

ـ « كيف ؟! »

ـ « لدى الآن يقين عجيب أنه يتابعنا ويستمتع بهذا .. ولو صدق اعتقادى فهو يعرف الآن أننا فقدنا طرف الخيط .. فيحاول مساعدتنا إذن .. »

ـ « وكم سيستغرق كل هذا ؟ »

ـ « لست أدرى بالطبع ، ولكنى لا أملك سوى الانتظار .. »

قالها (سليم) وأنهى المكالمة ..

نعم .. ليس أمامه سوى الانتظار ..

ولكن الوقت الذى سيقضيه فى الانتظار يجب ألا يهدر عبثًا .. بل يجب أن يستغل كل ثانية منه ..

علّ هذا يجدى ..

وهكذا بينما كانت سيارة السجن الأخيرة ترحل ، اتجه (سليم) إلى مدير السجن ليقول :

ـ « أريد قائمة بكل الذين زاروا (مختار) فى فترة سجنه .. وحتى المحامى الذى ترافع فى قضيته .. وبسرعة .. »

ـ « ستجد ما تبحث عنه فى جهازى الكمبيوتر فى الغرفة العلوية .. شفرة الدخول (س ـ 10935) .. وإن كنت أنصحك بالهرب أفضل .. »

قالها وهو يلقى بمفاتيح غرفته .. فالتقطها (سليم) مجيبًا :

ـ « أشكرك .. »

ودون إضافات اتجه ليعود أدراجه إلى داخل السجن ..

أما المدير فهزّ كتفيه بلا مبالاة ، ثم استقل سيارة السجن الأخيرة وانطلق مبتعدًا ..

وهناك .. فى الأعلى .. كان (سليم) يبحث بكل كيانه عن اسم .. أى اسم .. كان له علاقة بـ (مختار) طوال فترة سجنه ..

لقد كان يعرف صاحب القنبلة وكل شىء عنها .. ولا بد أن هذا يعنى الكثير ..

إن المعلومات التى لديه تقول إن (مختار) كان مسجلاً خطرًا ، ومن الفئة الممنوعة من السفر .. وعلى الرغم من هذا ثمة تقارير تؤكد أنه كان يسافر إلى (بريطانيا) و (بلجيكا) ..

إن جوازات السفر المزورة لمن اختصاصاته العديدة ..

فمنها خبرته فى جميع أنواع المتفجرات .. واشتراكه فى عمليات اغتيال عالمية .. وعلاقاته المشبوهة مع معظم المنظمات الإرهابية .. وأخيرًا .. عملية الاغتيال الأخيرة التى توّج بها نشاطاته ..

وإن كان هذا آخر ما فعله ..

ولكنه ترك لهم شيئًا جديدًا .. قنبلة جرثومية ..

ودعنا من هذا كله الآن .. فها هى ذى القوائم تظهر أمامه على شاشة الكمبيوتر ..

هذا الوغد لم يلتق سوى بشخص واحد طيلة فترة سجنه .. محاميه ..

(كمال الجداوى) .. سبعة وعشرون عامًا .. محام خاص ..

ها هو ذا طرف خيط جديد يتبدى أمامه ..

ترى هل سيقوده إلى شىء ؟!

وفى الوقت المناسب ؟!

ارتفع فى نفس اللحظة رنين هاتفه فالتقطه على الفور ، ووضعه على أذنه ليقول :

- « هنا (سليم) .. »

أتاه صوت زميله (شوقى) يقول بانفعال :

- « (سليم) .. لقد رفعت البصمات عن الإصبعين .. نعم أحدهما كان لسائق يدعى .. »

- « (عزت وجدى) ؟ »

- « نعم .. والآخر كان لشخص يدعى .. (كمال) .. (كمال الجداوى) .. إنه محام .. »

(سليم) أين عثرت على الإصبعين ؟ وما الذى يحدث ؟!

* * *

- « ماذا تفعل ؟ »

قالها وزير الداخلية لـ (كارم فوزى) الذى انهمك تمامًا فى العمل على جهاز الكمبيوتر .. فالتفت إليه (كارم) ليقول :

- « أحاول دراسة تركيب القنبلة ومواصفاتها لتحديد قوة ومدى انفجارها .. »

- « وبمَ سيفيد هذا الآن ؟ »

ـ « ربما فى تحديد موقعها .. فإذا توفر لى وبدقة قوة القنبلة ومداها .. وبعض المواصفات القياسية والتركيبية ، ربما استطعت تحديد موقعها ..... »

ـ « عظيم .. المهم أن يتم هذا بسرعة .. »

ـ « إننى أحاول .. ولكن حقيقة ليس هذا ما يقلقنى الآن ..... »

ـ « ماذا تعنى ؟! »

تراجع (كارم) بمقعده ليسترخى نوعًا ما .. ثم أجاب :

ـ « ذاكرة الكمبيوتر .. بيانات القنبلة .. وكل ما يعرض أمامى الآن لا يحتل سوى حوالى ثلث ذاكرة الكمبيوتر .. أما الباقى فهو مؤمن بشفرة رقمية .. وإننى أتساءل ما الذى تخفيه هذه الذاكرة .. »

هتف الوزير باتفعال :

ـ « ولماذا لم تخبرنا بهذا منذ البداية ؟! »

ـ « لست أظن أن هذا كان يجدى .. فالشفرة تتكون من ثلاثة عشر رقما ، وفكها لن يستغرق أقل من ثلاث ساعات .. »

ـ « وما العمل إذن ؟ »

مطَّ (كارم) شفتيه وهو يهز كتفيه بما يعنى أنه لا يعرف .. فقال الوزير :

ـ « لا بأس .. إننا فقط نسعى .. تابع عملك .. »

وتركه ليمضى إلى مكتبه ..

وعاد (كارم) ينهمك فى عمله تمامًا ..

والواقع أنه برغم تركيزه الشديد .. كان يشرد من لحظة إلى أخرى ..

فلقد كان يشعر بالحيرة ..

من نفسه !!

نعم .. فهو لم يكن يتخيل أنه سيستطيع السيطرة على نفسه إلى هذا الحد ..

ينتزعونه من الحفل الصاخب دون تفاصيل .. ويأخذونه إلى وزارة الداخلية فى (لاظوغلى) ليخبروه أن قنبلة جرثومية ستنفجر لتطيح بـ (القاهرة) بعد ساعات .. ويتركوه أمام كمبيوتر عليه بيانات القنبلة اللعينة .. كل هذا وهو متماسك رابط الجأش ..

(كارم فوزى) الذى لم يستطع يومًا أن يتحدّث إلى فتاة ، يواجه كل هذا برباطة جأش وهدوء ..

رائع .. المهم أن يحاول أن يتوصل لشىء .. وإلا لن يتمتع برباطة الجأش هذه طويلاً ..

فالوقت يمضى ..

حتى ذلك الوغد صاحب القنبلة ترك له ساعة رقمية فى ركن الشاشة .. وكأنه يقول له بشماتة :

ـ « حاول ما شئت.. لكن الوقت يمضى.. وإذا مضى عندئذٍ ..»

الثانية إلا الثلث الآن ..

مائة وأربعون دقيقة على لحظة النهاية ..

وبعدها سـ ..

ـ « ما هذا ؟! »

هتف (كارم) بهذه العبارة بذهول وهو يحدق فى الشاشة أمامه ..

وجرت عيناه على السطور ..

وحدقت عيناه فى التصميم الجديد الذى ظهر أمامه ..

ثم على الموقع ..

وبلا وعى تمتم :

ـ « يا إلهى .. سوف تحدث كارثة .. »

ووقف بغتة ليحمل الكمبيوتر وهو يردّد :

ـ « يجب أن أسرع .. يجب .. »

وانطلق ..

إلى حيث الكارثة ..

★ ★ ★

ـ ١١ ـ

منذ أن استيقظت (داليا إبراهيم) فى ذلك اليوم .. وهى تعرف أنه لن يكون يومًا عاديًا ..

المياه مقطوعة منذ الليلة الماضية .. والطقس حار خانق .. صداع سخيف يكتنفها بلا مبرّر ..

الأسوأ من هذا كله أنه كان يجب أن تذهب إلى الشركة التى تعمل فيها كخبيرة هندسية فى السادسة صباحًا .. وحتى الثامنة مساءً ..

منذ أن نالت تلك الترقية الأخيرة وهى تدرك أن الراحة أصبحت حلمًا تتذكره ..

إذ دخلت إلى بيتها بعد نهاية يوم شاق طويل ، لتندس فى فراشها عالمةً أنها لن تحظى سوى بساعات قليلة .. بعدها تستيقظ مبكرة ، و ...

تدور الدائرة مرة أخرى ..

ولكن هذا اليوم كان شاقًا أكثر من أى يوم آخر ..

ودون أن ندخل فى تفاصيل عملها ، سنكتفى بقول إنها عادت إلى منزلها مستقلة سيارة أجرة ، بعد أن أدركت أن محاولة قيادة سيارتها قد تمنحها الراحة الأبدية ..

وهكذا .. عندما اندست (داليا) فى فراشها فى تلك الليلة .. غرقت لفورها فى نوم عميق ..

عميق لدرجة أنها لم تكن لتشعر بكل ما يحدث حولها فى (القاهرة) كلها ..

عميق لدرجة أنها لم تسمع صفارات الإنذار ، ولا البيان الذى ما زال يتردّد فى كل مكان فى (القاهرة) ..

بل إنها حتى لم تسمع تلك الضجة الخرافية فى الخارج ، والتى ملأت الشوارع ..

وفى الأسفل كان رجال الجيش يقومون بمحاولات يائسة للمحافظة على النظام فى واحد من أكبر ميادين (مصر) ازدحامًا ..

ذلك الميدان الذى تطل عليه نافذة ردهة منزل (داليا) .. ميدان التحرير ..

وكالعدوى بدأت حالة العصبية والفزع التى تنتاب المدنيين ، تتسلل رويدًا رويدًا إلى نفوس رجال الجيش أنفسهم .. إذ بدت تصرفاتهم تتسم بالعصبية الزائدة والانفعال المستمر ..

خاصة مع تدافع العشرات على شاحنات الجيش ، والتى كانت تقوم بنقلهم ..

تمامًا كركاب سفينة يتزاحمون على مراكب الإنقاذ ، والسفينة تغرق من أسفلهم ..

وفى غمار التوتر والانفعال الزائدين ، فَقَدَ أحد الجنود أعصابه فرفع فوهة مدفعه فى الهواء ، و ...

أطلق النار ..

ومع دوى الرصاصات المخيف هوى صمت مطبق على المكان ..

واستغل هذا الجندى الفرصة ليصرخ منذرًا :

- « بهدوء ونظام .. وإلا ستكون الرصاصات التالية فى رأس من يحدث الشغب .. »

نجحت كلماته فى إعادة دفة السيطرة إلى صالحهم نوعًا ما .. فأخذوا يتابعون نقل المواطنين بذات الهمة والحماس .. والتوتر ..

أما عن الرصاصات التى أطلقها ذلك الجندى ، فلقد نسفت نافذة ردهة منزل (داليا) تمامًا ..

صدفة عجيبة .. أدت إلى إيقاظ (داليا) من نومها العميق مفزوعة لتهتف :

ـ « ماذا حدث ؟! »

ولأول مرة بدأ صوت الضجة فى الخارج يجذب انتباهها ..

ثم بدأ يزيد من فزعها وهلعها ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

وعندما هبّت من فراشها لتنظر من نافذة الردهة ـ التى تحطم زجاجها ـ هتفت :

ـ « يا رب السماوات !! ما الذى يحدث ؟! »

وإذ رأت الجيش واندفاع المواطنين إلى سياراتهم الضخمة ردّدت بتوتر :

ـ « لا بد أن هناك خطرًا ما .. »

وبسرعة ارتدت ملابسها ، وهبطت على سلالم البناية التى خوت تمامًا إلا منها .. حتى بلغت البهو القائم فى الأسفل ..

الآلاف .. بل الملايين يملئون كل مكان .. وسيارات الجيش التى لا تكاد تستوعب العشرات الذين اندسوا فيها ، تتحرك ببطء وسط الحشود فى صف واحد طويل .. مبتعدة .. إلى أين ؟!

لا يهم .. المهم أن تبتعد .....

وبرعب أخذت (داليا) ترمق كل ما حولها ..

وإذ اقترب منها شخص ما هتفت به :

ـ « ما الذى يحدث ؟! »

أجابها بثقة :

ـ « أمريكا ستحاربنا .. »

ثم انطلق يعدو وسط الحشود ، محاولاً بلوغ إحدى سيارات الجيش ..

وقبل أن تحاول (داليا) التحرك من مكانها .. لمحت ذلك

الوسيم الذى يرتدى حلة سهرة أنيقة للغاية ، وهو يعدو بأقصى سرعة ممكنة ، حاملاً الكمبيوتر معه ..

كان ذلك الوسيم الذى يسرع فى عدوه يحاول بحث مشكلة وفكرة فى آن واحد ..

فكرة صغيرة تتعلق بالكمبيوتر الذى معه ، والذى يحمل له كل لحظة كارثة جديدة ، طبقًا لبرنامج زمنى معروف مؤمن عليه بشفرة من ثلاثة عشر رقمًا ..

ولكن ماذا عن البرنامج الزمنى نفسه ؟

إنه قابل للتغيير .. بحيث يكون أسرع .. عندئذٍ ..

سيكون الزمن ملكه ..

زمن الكمبيوتر ، وسيعرف ما يريد معرفته ، وقبل الوقت الذى يريده صاحب القنبلة أن يعرف فيه ..

أما المشكلة الآن .. فهى أن قنابل زمنية ستنسف كوبرى قصر النيل .. بعد ..

بعد أربع عشرة دقيقة تقريبًا ..

وإذ بلغ (كارم) الكوبرى فى بدايته .. كان المكان قد خلا تقريبًا مع اندفاع المواطنين نحو الميدان ونحو سيارات الجيش ..

ليبحث الآن إذن ـ وبسرعة ـ عن القنابل ..

وهكذا بدأ العد التنازلى للوقت ..

أربع عشرة دقيقة ..

القنابل بالطبع لن توجد على سطح الكوبرى .. من المؤكد أنها فى الجانب السفلى منه إذن ..

ولكن فى أى منطقة بالضبط ؟!

التفكير المنطقى يقول فى المركز حيث أضعف نقاط الكوبرى ..

ثلاث عشرة دقيقة ..

لاهثًا أخذ يعدو على الكوبرى حتى شارف على منتصفه تقريبًا ..

ثم اقترب من سوره متمتمًا :

ـ « والآن سأهبط .. »

ثم وضع الكمبيوتر المتنقل على الأرض برفق ، وخلع حزامه ولفه حول أحد القوائم العديدة فى السور ، و ....

وتأرجح جسده لحظة وهو يتعلق بحزامه ، ثم تشبث بالقوائم المعدنية
فى أسفل الكوبرى .. أما (داليا) فشهقت مع قفزته ..

ـ « ماذا ستفعل ؟! »

اثنتا عشرة دقيقة ..

التفت (كارم) إلى (داليا) التى هتفت به مذعورة .. فهتف :

ـ « ابتعدى يا سيدتى .. ثمة قنبلة ستنفجر بعد قليل .. »

ودون إضاعة للوقت استعمل كل مهارته وقفز ، و ...

وتأرجح جسده لحظة وهو يتعلق بحزامه ، ثم تشبث بالقوائم المعدنية فى أسفل الكوبرى ..

أما (داليا) فشهقت مع قفزته .. ثم أثار الكمبيوتر فضولها .. فاتجهت إليه ، وأخذت تطالع تصميم القنبلة على شاشته ، ثم لم تلبث أن رددت :

ـ « يا إلهى .. ستطيح بالكوبرى تمامًا .. »

ثم تغلبت عليها طبيعتها كمهندسة إليكترونيات .. فأخذت تفحص التصميم وبدقة ، و ...

إحدى عشرة دقيقة ..

هذه القنابل ذات دائرة كهربية خاصة كسائر القنابل الزمنية .. ما إن تقطع الدائرة ـ بقطع السلك الصحيح طبعًا ـ حتى يتوقف العد التنازلى .. ويبطل مفعول القنبلة .. ولكن .....

تلك الدائرة هاهنا .. إنها تختلف نوعًا ما .. إنها ...

عشر دقائق ..

بمزيج من الهلع والتوتر قفزت (داليا) خلف (كارم) وهى تهتف منذرة :

ـ « توقف ..... »

كان (كارم) حينها يتسلق بصعوبة شديدة القوائم المعدنية المتشابكة والمتداخلة ليصل إلى تلك الأجسام السوداء الملتصقة بالأعمدة ..

وعندما التفت ليرى (داليا) تحاول بصعوبة أشد بلوغه هتف باتفعال :

ـ « ابتعدى أيتها الحمقاء .. القنابل ستنفجر .. »

ـ « لا تحاول أنت انتزاعها ، وإلا انفجرت على الفور .. أنا مهندسة وأعرف ما أتحدث عنه ..

إنها مرتبطة بالأعمدة بدائرة كهربية لو قطعتها ستنفجر على الفور .. »

هتف (كارم) بعصبية :

ـ « وما الحل إذن ؟ »

تسع دقائق ..

ـ « كم عددها عندك ؟ »

ـ « خمس .. »

ـ « لنبدأ إذن .. »

وأخذت تتسلق حتى بلغته بمشقة .. ثم قالت :

ـ « سنربط طرفى الدائرة بسلك ، بحيث نصنع دائرة خارجية بعدها .. سنفصل القنبلة عن العمود .. ثم نعيد الدائرة الرئيسية .. »

ـ « وماذا بعد ذلك ؟ »

ـ « سنلقى القنابل فى النيل بالطبع .. »

ـ « ومن أين سنأتى بالسلك ؟ »

نزعت دبوس شعر من رأسها وناولته إياه قائلة :

ـ « هذا يكفى .. »

ثمان دقائق ..

بيدين مرتجفتين ثبت طرفى السلك ـ بعد أن قام بتعريته ـ ثم تأكد من إحكام تثبيته .. و ...

وبيد مرتجفة مدت (داليا) يدها بالمطواة الفاخرة التى ناولها (كارم) إياها لتقطع السلك ..

وببطء حركا القنبلة مبتعدين عن القائم المعدنى .. ثم أخذت (داليا) تربط طرفى السلك الرئيسى مجددًا ..

ثم ألقيا القنبلة فى النيل ..

ست دقائق ..

القنبلة الثانية تلحق برفيقتها فى مياه النيل الباردة ..

أربع دقائق ..

الثالثة ..

دقيقتان ..

الثانية أيضًا ..

وبالغين ذروة انفعالهما ثبت (كارم) طرفى السلك ذاته فى سلك القنبلة الأخيرة .. وهو يعتمد على قدميه فى تعلقه ..

وبذات الانفعال مدت (داليا) يدها لتقطع السلك الرئيسى عنها ..

عندما هوى جسدها من على القائم الذى كانت متشبثة به .. فأطلقت صرخة عالية قبل أن تتشبث بقائم آخر فى الأسفل بحيث تدلى جسدها فى الهواء ..

وبأعلى صوته صرخ (كارم) :

ـ « تماسكى .. »

ولكنه رأى مطواته الفاخرة تسقط منه فى المياه ، فنظر إلى القنبلة بهلع ..

نصف دقيقة ..

لا مجال للاختيار .. سيفعلها وليكن ما يكون ..

وهكذا جذب القنبلة بقوة مفاجئة ، وألقاها على الفور فى المياه ..

عشر ثوان ..

يد (داليا) اليمنى تهوى جوار جسدها ، ولم تعد متعلقة إلا بيسراها ..

ثانيتان ..

ثانية ..

ثم دوّت فرقعة مكتومة مخيفة فى الأسفل .. ثم ارتفع بركان رهيب من المياه ليقذف بجسد (داليا) إلى الأعلى لتتشبث ، ثم هوت المياه ..

وانتهت الكارثة ..

وبارتياح هتف (كارم) :

ـ « نجحنا .. »

أجابته (داليا) هاتفة هى أيضًا :

- « نعم .. لقد فعلناها .. »

وفى الأعلى حملت شاشة الكمبيوتر تصميمًا لقنبلة أخرى مع خريطة توضح موقع هذه القنبلة الجديدة ..

ثم اختفى التصميم واختفت الخريطة لتظهر خريطة جديدة ..

تمامًا وفقًا للبرنامج .. الزمنى ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الثانية وإحدى وأربعون دقيقة صباحًا .. »

- ١٢ -

بعينين خاويتين أخذ (سليم شهاب) يرمق شوارع ذلك الحى الهادئ التى خلت تمامًا من البشر بعد أن نقلتهم سيارات الجيش ..

الأضواء كلها مضاءة ..

المتاجر والمطاعم تركت أنوارها مضاءة .. وإن خلت تمامًا من أى أثر يدل على وجود أى شخص فى أى مكان ..

وذلك الصمت ..

صمت مطبق رهيب مستمر يسود كل شىء ..

وبملامحه الجامدة التى اشتهر بها (سليم شهاب) أخذ يقود سيارته متجهًا نحو آخر عنوان وصل إليه ..

عنوان (كمال الجداوى) ..

إن الأمر يبدو وكأن فيه نوعًا من التكرار .. ولكن لا خيار له ..

ذلك الوغد الحقير صاحب القنبلة يملك الخيارات كلها ، ويقود اللعبة كما يحلو له ..

إنه موجود حتمًا فى مكان ما من كل هذا ..

بل إنه يتابع كل شىء .. كل شىء ..

الفكرة كلها هى كيف يفعل هو هذا ؟

كيف يتابعهم دون أن يشعروا به ؟

ثم ما هدفه من هذا كله ؟!

اللعنة .. إنهما ساعتان على أية حال وبعدها فليكن ما يكون ..

ها هى ذى البناية التى يوجد بها مكتب ذلك المحامى (كمال الجداوى) ..

سيذهب الآن إلى مكتبه ليجرى ذات التفتيش الروتينى الممل ليعثر فى النهاية على قصاصة ورق جديدة ، بها رقم أو عنوان جديد ، يقود إلى خطوة جديدة فى دائرة إضاعة الوقت ..

وكالعادة يجب أن يتم هذا كله بسرعة .. لأن الوقت لا يرحم ..

وعندما غادر (سليم) سيارته .. لم يستطع منع نفسه من إلقاء نظرة على الشوارع الخاوية ..

من حوله ..

ذلك الوغد فى مكان ما حتمًا ..

لا وقت لهذا الآن .. ليصعد ليرى ما الذى سيجده ..

وهذه المرة لم تكن هناك مشكلة مع قفل الباب .. أحدهم حطمه قبله ..

لعله أحد اللصوص أراد أن يستغل حالة الهرج والمرج التى تحدث لسرقة المكتب ..

ولكن لا بد أن ذلك اللص لم يفعل ما يراه (سليم) الآن ..

كان المكتب مضاءً .. والسكرتيرة الشقراء مذبوحة ..

وفى الداخل كان (كمال الجداوى) جالسًا على مكتبه منتصبًا ، وثقب واضح فى منتصف جبهته ..

وعيناه الجاحظتان تحملان تعبير الموت المخيف ..

تلك الزرقة الواضحة وآثار التعفن البادية الظهور ، تشى بأنه لقى مصرعه منذ أكثر من يومين ..

وكان أحد أصابعه مقطوعًا ..

والآن .. ما الذى سيجده هاهنا ؟!

كل شىء يبدو هادئًا ومستقرًا فى مكانه ..

ولو أن تفكير صاحب القنبلة الأحمق هذا منطقى ، فلن يخفى ما جاء من أجله فى مكان عسير اكتشافه ..

كأن الوقت لن يكفى لهذه السخافات ..

واستغرق (سليم) عشر دقائق كاملة ليفتش المكان .. لكنه لم يجد شيئًا ..

وبضجر متوتر قال :

ـ « ما الذى سأجده ها هنا إذن ؟! »

ثم أخذ يبحث بعينيه عن أى مكان يكون قد أغفل تفتيشه ، ثم تابع محدثًا نفسه :

ـ « لا يوجد ما لم أفتشه .. ماذا إذن ؟! »

ارتفع رنين الهاتف ليبدد صمت المكان ، فالتفت إليه بسرعة وكأنه لم يره منذ دخل ..

وارتفع الرنين المتصل ثانية فحسم (سليم) أمره ، والتقط السماعة ليضعها على أذنه ..

وبترقب ملهوف قال :

ـ « مَنْ ؟! »

أتاه صوت عميق ذو رنة خاصة يقول :

ـ « أنا صاحب القنبلة الجرثومية .. »

★ ★ ★

بلهفة تضاعفت آلاف المرات هتف (سليم) عبر الهاتف :

ـ « أنت صاحب القنبلة ؟! »

ـ « نعم ، أنا هو .. وأنت ؟ البطل الهمام الذى يحاول العثور عليها ؟

يا لك من مثابر !! »

ـ « ويا لك من وغد .. »

هتف صاحب الصوت والقنبلة غاضبًا :

ـ « إياك أن تكررها .. وإلا ستدفع (القاهرة) كلها الثمن .. »

ـ « ولماذا (القاهرة) بالذات ؟ »

ـ « لأنها أكثر محافظات (مصر) ازدحامًا .. هل تعرف ؟ إن محاولات إخلاء (القاهرة) التى تقومون بها طريفة حقًا .. إننى أريد أن أعرف كم من السكان ستستطيعون إنقاذه قبل الانفجار ؟ »

ـ « إنها ليست مشكلتك .. »

ـ « حقًا .. هل ما زلتم تعتمدون على الأنفاق السرية ؟ »

المشكلة أنها لم تعد تصلح لكم ، فأنا أستخدمها لأغراض خاصة .. »

ـ « ما الذى تريده بالضبط ؟ »

ـ « (مختار المليجى) أخبرك .. »

ـ « نائب الرئيس ؟ »

ـ « والرئيس أيضًا .. حتى لا يشعر نائبه بالوحدة .. »

ـ « هراء .. »

ـ « لست صاحب القرار أيها الظريف .. أبلغ قيادتك .. الرئيس ونائبه فى تمام الثالثة فى الأنفاق السرية من المدخل السرى فى شارع (رمسيس) .. بمفردهما .. وإلا ..

أعتقد أن الأمر جد واضح .. »

وعند هذا الحد أنهى صاحب القنبلة المكالمة ..

وباتفعال لا حد له هتف (سليم) :

ـ « يا إلهى .. الرئيس ونائبه .. »

ومتجاهلاً الهاتف أمامه ، التقط هاتفه ليضغط أزراره قبل أن يقول :

ـ « وزير الداخلية .. نعم يا سيدى أنا (سليم) .. »

صاحب القنبلة اتصل بى.. نعم.. إنه يريد الرئيس ونائبه الساعة الثالثة عند مدخل الأنفاق السرية فى شارع (رمسيس) ..

« نعم هذه هى مساومته .. حسن .. إننى قادم .. »

وأنهى المكالمة على الفور ليغمغم :

ـ « يبدو أن الأمر سيأخذ أبعادًا جديدة .. »

★ ★ ★

وهناك .. فى مبنى وزارة الداخلية .. كان الوزير يهتف باتفعال :

ـ « الرئيس والنائب .. يا للكارثة !! »

لم يفقد مدير المخابرات هدوءه أو تماسكه وهو يقول :

ـ « ذلك الحقير يتحدث من مركز قوة .. ولكن دعك من هذا الآن .. إنه يعلن أيضًا سيطرته على الأنفاق السرية .. »

انتبه الوزير لقوله فهتف :

ـ « يا إلهى .. الأنفاق ؟! كيف لم أنتبه لهذا ؟

إن هذا يدمر خطة الإخلاء نهائيًا .. »

غمغم وزير الدفاع :

ـ « وهذا يعنى أيضًا أن فريقى سيواجه حربًا مهولة بالأسفل .. »

تجاهل المدير هذا كله ، وهو يقول منظمًا أفكاره :

ـ « المهم الآن .. قوله هذا يعنى أنهم منظمة متكاملة وليس رجلاً بمفرده أو جماعة إرهابية عادية ..

ولا بد أنهم يتخذون الأنفاق مقرًا لهم منذ زمن ..

ولكن بفرض أنهم سيأخذون الرئيس ونائبه إليها .. إلى أين سيأخذونه بعد هذا ؟!

إنهم متأكدون أننا لدينا خريطة للأنفاق بجميع مداخلها ومخارجها .. »

تابع وزير الدفاع :

ـ « وبفرض أننا سلمناهم الرئيس ونائبه .. من يضمن لنا إذن أنهم لن يفجروا القنبلة ..

خاصة ما داموا بمأمن منها فى الأسفل .. »

هتف وزير الداخلية بقمة غضبه :

ـ « اللعنة على ذلك الحقير .. إنه لا يترك لنا أى خيار .. حتى ذلك الوقت الذى سنسلم فيه الرئيس لا يكفى لكى يأتى الرئيس من المقر الآمن السرى .. وكذلك نائبه .. »

أجابه مدير المخابرات :

ـ « إنه لا يريد أن يعطينا وقتًا لنحسن اتخاذ القرار .. فقط سننفذ أوامره حسبما يريد .. »

سأله وزير الدفاع :

ـ « وما العمل إذن ؟ »

أجابه مدير المخابرات بحسم :

ـ « سننفذ أوامره .. »

وقبل أن يعترض أحد قوله هذا أو يستنكره .. ارتفع رنين جرس الهاتف .. فالتقط المدير سماعته ، قائلاً :

ـ مَنْ ؟ »

جاءه صوت هادىء يقول :

ـ « أنا الرئيس .. ما هى الأحوال عندك يا (أدهم) ؟ »

ـ « ما زلنا نحاول السيطرة على الأمور .. وعمليات الإخلاء تجرى على قدم وساق .. »

ـ « القنبلة ستنفجر بعد ساعة ونصف الساعة .. »

ـ « أعرف .. ولكن .. »

ـ « ولكن ماذا ؟! »

ـ « صاحب القنبلة اتصل بنا .. »

ـ « حقًا .. وهل أبلغكم بمطالبه ؟ »

ـ « نعم .. لديه مطلب وحيد .. سيادتك ونائبك فى الساعة الثالثة .. فى الأنفاق السرية .. »

ـ « ماذا ؟ إن هذا يعنى بعد نصف ساعة من الآن .. »

ـ « نعم يا سيدى .. هذا هو مطلبه الوحيد .. وأخشى مما يمكن فعله لو لم نمتثل له .. »

ـ « يبدو أنه لا يوجد خيار إذن .. »

ـ « سيدى إننا لا نستطيع أن .. »

ـ « دعك من هذا الآن واستعدوا .. إننى قادم .. »

ـ « ولكن سيدى سـ ... »

ـ « حياة المصريين هى ما يهمنى يا (أكرم) .. إننى قادم فورًا .. »

★ ★ ★

اعتدل (كارم فوزى) فى مقعده أمام شاشة الكمبيوتر ، ثم قال :

ـ « المفترض أن يجعل هذا البرنامج الوقت الخاص بالكمبيوتر يمر أسرع من الصورة المعتادة ..

وبالتالى سنعرف محتويات ذاكرة الكمبيوتر قبل نهاية الوقت المحدد .. »

سألته (داليا) .. »

ـ « وما الذى ستحويه ذاكرة الكمبيوتر فى رأيك ؟ »

ـ « سنرى الآن .. »

كان يقفان فى أحد محلات الأجهزة الإلكترونية والكمبيوتر .. والذى خلا تمامًا إلا منهما ..

بعد أن حطما قفله ، وأمامهما جهاز الكمبيوتر المتنقل الذى بدأت به الأحداث والذى أخذ التعداد الرقمى للزمن على شاشته يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الزمن العادى ..

كانت شاشة الأنفاق وخريطتها قد اختفت بعد لحظات من صعودهما من أسفل الكوبرى ، فلم يفهم مبررًا لظهورها ..

فقط عاد تصميم القنبلة الجرثومية أمامه وخريطة (القاهرة) وعليها تلك النقط الحمراء ..

واحدة فقط من تلك النقط صحيحة والباقى خادعة ..

والوقت لن يكفى بالطبع للتأكد من أيها الخاطئ وأيها الصحيح ..

ولكن ها هو ذا الوقت هذه المرة يمر أسرع ..

وها هى ذى ذاكرة الكمبيوتر ستنضح بما فيها من معلومات وأسرار ..

ولكن .. لوهلة لاح سؤال فى تفكير (كارم) :

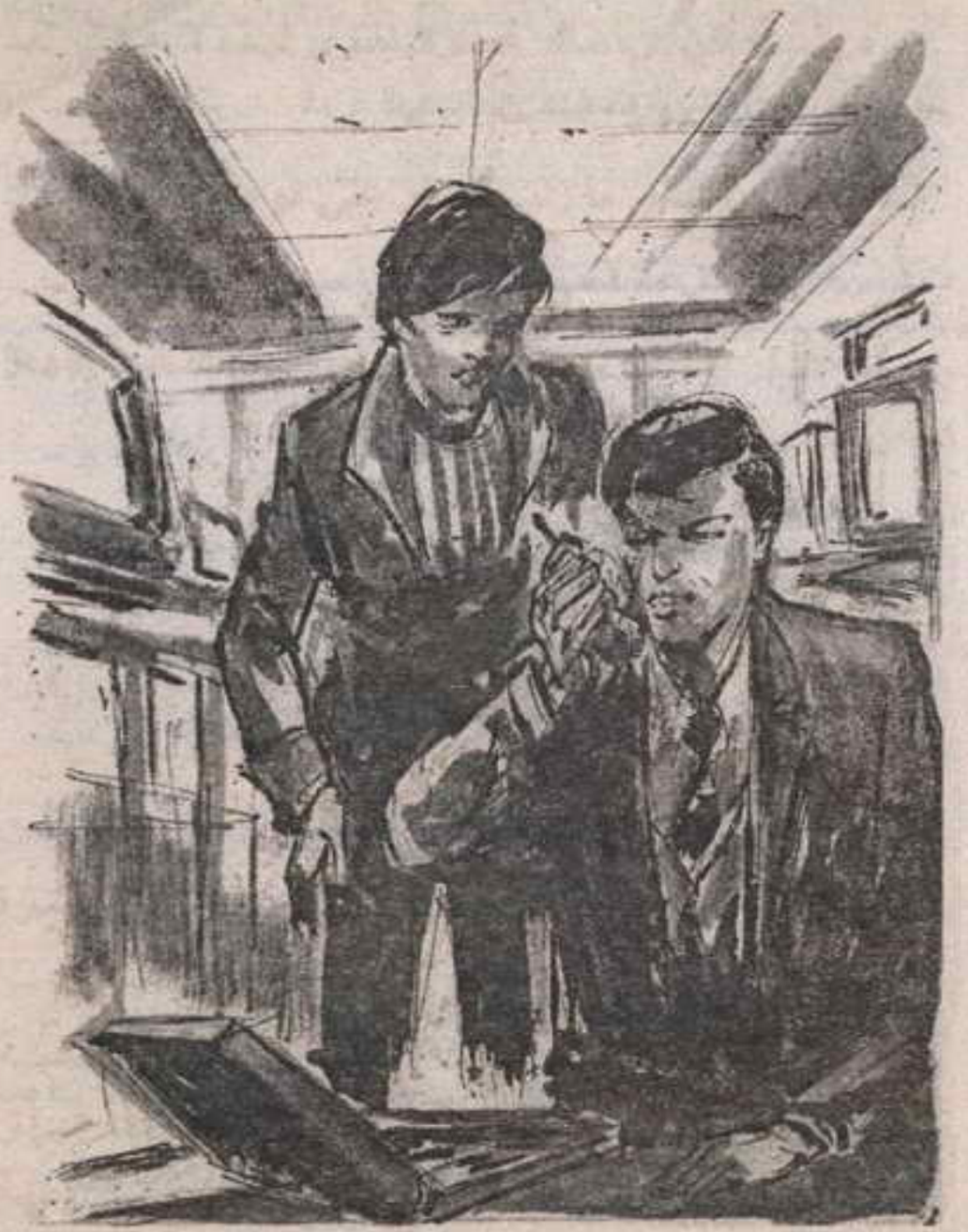

وقبل أن يسترسل (كارم) فى تلك الأفكار، ارتفع رنين هاتفه فوضعه على أذنه على الفور بحركة غريزية ليقول .. «هنا (كارم فوزى) .. »

ـ « لماذا تبعته تلك الحسناء (داليا) إلى الكوبرى ؟! »

إن مشكلته مع الإناث هذه .. ها هى ذى تبرز أمامه فى أحلك اللحظات ..

وقبل أن يسترسل (كارم) فى تلك الأفكار ، ارتفع رنين هاتفه فوضعه على أذنه على الفور بحركة غريزية ليقول .. »

ـ « هنا (كارم فوزى) .. »

ـ « أنا (سليم) .. لقد اتصلت بك فى الوزارة فقالوا إنك اختفيت فجأة .. »

ـ « كان على إيقاف قنابل فى كوبرى (قصر النيل) .. »

ـ « حسنًا فعلت .. المهم أنصت لى جيدًا .. هل درست كل شىء عن تلك القنبلة ؟ »

ـ « أعتقد ذلك .. »

ـ « هل هناك طريقة لإيقافها ؟! »

ـ « الواقع أننى لم أدرس هذا بعد .. ولكن لا بد من هذا .. لا توجد قنبلة لا يمكن إيقافها ..

المهم فقط الوقت اللازم لهذا .. »

ـ « حسن .. ابدأ إذن فى دراسة هذه الوسيلة ، وكن على استعداد للتحرك فى أى لحظة ..

وهناك شىء آخر .. أريد معرفة إن كان هناك أى تحكم خارجى بالقنبلة .. »

ـ « لا يمكن .. كرة الرصاص ستمنع وصول أى إشارات لها .. »

ـ « عظيم .. يجب أن تكون مستعدًا للحركة فى أى وقت إذن .. »

ـ « هل عثرتم على القنبلة ؟! »

ـ « لا .. ولكن فلنأمل هذا .. كن مستعدًا حينها .. »

وإذ انتهت المكالمة قالت (داليا) :

ـ « هل موضوع القنبلة هذا صحيح ؟ »

أجابها (كارم) بهدوء من لا يعنيه الأمر :

ـ « نعم ، صحيح .. »

ـ « هذا يعنى أننا قد نلقى مصرعنا بعد ساعة .. بل الملايين سوف يلقون مصرعهم .. »

ـ نحن نجاهد لمنع حدوث هذا .. »

وللحظة حاول (كارم) أن يجد شيئًا آخر ليقوله ، ولكنه لم يجد ، فأخذ ينظر إلى شاشة الكمبيوتر التى أخذت تحمل بيانات مفصلة عن التركيب الدقيق للقنبلة ..

وعلى خريطة (القاهرة) بدأت النقاط الحمراء تقل ..

ومع تدفق المعلومات بدأت تقل وتقل ..

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الثالثة صباحًا .. »

- ١٣ -

ميدان (رمسيس) ..

التفت وحدة عسكرية كاملة لتصنع دائرة كبيرة أولوها جميعًا ظهورهم ، وقد قبض كل واحد منهم على مدفع آلى ضخم ..

وحول تلك الدائرة البشرية .. كانت هناك دائرة أخرى صنعتها سيارات الجيش وقد جلس فى كل واحدة منها أحد الجنود بمدفع مماثل ..

ومن نوافذ بضع بنايات حول المكان .. أطل بعض القناصة على نحو سافر أو خفى ، وهم يراقبون الموقع بدقة متناهية ..

وحول ذلك الموقع تجمع عشرات من المواطنين الذين يغلب فضولهم على خوفهم .. وعلى ألسنتهم سؤال واحد .. ما الذى يجرى هنا ؟!

أما فى مركز الدائرة البشرية .. فكان السؤال مختلفًا ..

كان .. متى سيصل الرئيس ؟

فهناك كان مدير المخابرات ووزيرا الدفاع والداخلية ، يقفان فى ترقب لطائرة الرئيس الخاصة ، المفترض وصولها بين لحظة وأخرى ..

وفضلاً عن ذلك الشعور بالترقب .. كان هناك شعور آخر ممضّ يكتنف الجميع ..

الشعور بالهوان .. بالمذلة .. بالعجز ..

ها هم أولاء سيسلمون رئيس الجمهورية شخصيًا ونائبه دون أن يملكوا لهما شيئًا ..

لقد ربح صاحب القنبلة ..

لا مفر من الاعتراف بهذا ..

وبمرارة التفت وزير الداخلية إلى مساعده ليقول :

- « لقد تأخرت طائرته .. »

- « إنه فى الطريق إلى هنا مع نائبه .. وبضع دقائق لن تضير أحدًا .. »

- « هل نفذتم كل ما طلبه (سليم شهاب) ؟ »

- « نعم ، لكن أرجو أن يكون هذا ذا فائدة .. »

- « إنه أدرى بما يفعله ، ثم ما الذى نملكه أكثر من ذلك لنخسره .. إننا الآن نسعى لوضع هزيمتنا فى إطار أكثر أناقة .. »

تدخل مدير المخابرات ليقول :

ـ « إن هزيمتنا ليست مؤكدة بعد .. ومَنْ يدرى ما الذى يمكن أن يحدث فى اللحظات القادمة ؟ »

وقال وزير الدفاع :

ـ « الذى يدهشنى حقًا .. كيف استطاعوا السيطرة على الأنفاق السرية بأكملها ؟

إن هذا يحتاج إلى جيش كامل .. »

أجابه وزير الداخلية :

ـ « أو يحتاج إلى وحدة صغيرة مع تغيير شفرة الدخول ، عندئذٍ تكون الأنفاق كلها طوع أمرهم .. »

ـ « ولكن رجالى دخلوا بالفعل إلى الأنفاق .. »

ـ « ربما لأنهم لم يعدلوا كل الشفرات بعد أو ... أو أن رجالك قد سقطوا فى المصيدة .. »

جاء صوت هدير خافت من بعيد .. أخذ يزداد رويدًا رويدًا مع اقتراب طائرة هليكوبتر مسلحة عليها شعار الرئاسة .. وصنعت تلك الهليكوبتر موجة الهواء المعتادة أسفلها وهى تهبط ببطء ..

وأخذت مراوح الطائرة تبطئ وتبطئ .. ثم توقفت تمامًا ..

ثم انفتح الباب ليخرج منه جنديان وقفا على جانبى الباب قبل أن يبرز الرئيس ..

وإذ التمعت نظرات الانبهار فى عيون المواطنين الذين أخذوا يحدقون فيما يحدث داخل الطائرة ..

كانت نظرات الأسى كأوضح ما يكون فى عيون من داخل الدائرة ..

أسرع الوزيران ومدير المخابرات لاستقبال رئيسهم الذى هبط على سلم الطائرة بخطوات معتدة .. وتصافحوا بسرعة قبل أن يهبط النائب لينضم إليهم ..

وبهدوء قال الرئيس :

ـ « لم يمكننا أن نأتى بأسرع من ذلك .. »

أجاب وزير الداخلية بمرارة :

ـ « لا بأس .. نحن نقدر ذلك .. ولكن سيدى إننى مُصرٌ على وجود حل بديل .. »

ـ « أعرف .. ولكن أى حل بديل سيحتاج إلى وقت .. وهذا ما نفتقر إليه تمامًا ..

ولن يمكننى المخاطرة بحياة المصريين أبدًا .. »

ولكى يحسم الموقف رفع رأسه ليقول :

ـ « ألم تفتحوا المدخل بعد ؟

أجابه مدير المخابرات :

ـ « ليس قبل أن يتصل يا سيدى .. إننا لن نخاطر بحياتك وحياة نائبك بلا مقابل .. »

ـ « وهل أنت واثق أنه سيتصل ؟ »

ـ « تمام ثقتى بأنه الآن فى مكان ما حولنا يراقبنا بشغف .. »

ـ « (أدهم) .. أشعر أن ثمة شيئًا ما تخفيه .. »

ـ « كل شىء سيكون على ما يُرام بإذن اللّه يا سيدى .. »

ومع قوله هذا ساد نوع من الصمت على المكان والكل يبدو وكأنه ينتظر حدوث شىء ما ..

ولم يتأخر هذا الشىء .. إذ ارتفع رنين الهاتف .. الهاتف الخاص بوزير الداخلية الذى التقطه ليضعه على أذنه ، قائلاً :

ـ أنا الوزير .....

أتاه ذلك الصوت العميق يقول :

ـ « فِيمَ الانتظار ؟ »

هتف الوزير بانفعال :

ـ « أأنت صاحب القنبلة ؟ »

ـ « يبدو هذا لسوء حظكم .. »

ـ « إننا لن نسلم الرئيس أو نائبه حتى نتأكد من أن القنبلة لن تنفجر .. »

ـ « إنها الثالثة وعشر دقائق الآن .. هذا يعنى أن القنبلة ستنفجر بعد خمسين دقيقة إن لم تنصاعوا لأوامرى .. »

كان الحديث كله يسمعه الجميع عبر مكبر صوت ، والوزير يتابع :

ـ « ونحن لن ننفذ أيًا من أوامرك الحمقاء هذه حتى نتأكد من إيقاف القنبلة .. »

ـ « ومن قال إن القنبلة يمكن إيقافها ؟ »

ـ « ماذا تعنى ؟! »

ـ « أعنى أن ما سأساعدكم به هو أن أخبركم بموقع القنبلة بعد دخول الرئيس ونائبه إلى الأنفاق ..

وبعد ذلك سيكون إيقاف القنبلة هى مشكلتكم أنتم .. »

ـ « أيها الحقير .. أتعنى أن القنبلة ستنفجر لا محالة ؟ »

ـ « ربما استطاع (كارم فوزى) إيقافها .. فقط لو أخبرتكم بموقع القنبلة .. »

ـ « يا لك من وضيع حقير ، و ... »

ـ « دعك من إضاعة الوقت .. ليدخل الرئيس الآن وفورًا .. مع نائبه بالطبع .. »

ارتفع صوت ثالث فى المكالمة ليقول :

ـ « انتهى وقت إلقاء الأوامر .. »

وحيث كان صاحب القنبلة يتحدث ، سمع تلك الجملة تدوى خلفه تمامًا ..

وبحدة وانفعال من لا يصدق التفت ..

ليواجه فوهة مسدس (سليم) المصوبة إلى رأسه ..

وهناك داخل الدائرة فى ميدان (رمسيس) هتف مدير المخابرات بانتصار :

ـ « رائع .. لقد فعلها (سليم) .. »

تساءل الرئيس فى دهشة :

ـ « (سليم) .. من هو ؟! »

وقبل أن يتلقى الرئيس ردًا .. انفتح باب الأنفاق السرى فى قاعدة تمثال (رمسيس) ..

وعلى عتبته ظهر ذلك الملثم الذى كان يحمل مدفعًا آليًا والدماء تنزف منه بغزارة ..

وبلغة أجنبية وصوت مبحوح صرخ ذلك الملثم :

ـ « اذهبوا إلى الـ ..... »

ولم يكمل الملثم عبارته ، مع تلك الرصاصة التى اخترقت جانب رأسه لتعبر من الجانب الآخر ..

وسقط الملثم جثة هامدة ..

وعاد الرئيس يهتف بدهشة :

ـ « ما الذى حدث ؟! »

ظهر على باب المدخل ملثم آخر ، وهو يحمل على كتفه أحد الرجال .. بينما يقبض بيده الأخرى على مسدسه ..

فعاد الجنود يتوترون، واتجهت مدافعهم إليه ، ولكنه تقدم لبضع خطوات ، ثم ألقى ذلك الرجل الفاقد الوعى من على كتفه .. ثم قال بصوت قوى :

ـ « أنا الملازم (نبيل فواز) .. تم تنفيذ المهمة .. الأنفاق جاهزة الآن لاستقبال المواطنين ..

ولكن جثث الباقين فى الداخل ..... »

صافحه الرئيس ، قائلاً بفخر :

ـ أحسنت يا بنى .. أحسنت .. »

ثم التفت إلى وزير الداخلية ليقول :

ـ « ليبدأ نقل المواطنين إلى الأنفاق فورًا .. »

وبدأت لحظات النهاية ..

★ ★ ★

للحظات حدّق صاحب القنبلة فى مسدس (سليم) ..

وعندما استرد صوته قال :

ـ « إذن فلقد توصلت إلىّ .. »

أجابه (سليم) :

ـ « نعم .. لقد فعلتها ..

ـ « ولكن .. كيف ؟!

★ ★ ★

و ...

وأعتقد أنه آن أوان وضع النقاط على الحروف ..

فثمة أشياء لا بد من توضيحها ..

ولنبدأ بما حدث فى الأنفاق ..

عندما كان (نبيل) يقود دراجته الطائرة نحو مصدر الانفجار .. عندما رأى رفيقيه قادمين نحوه ..

ما الذى حدث إذن ؟!

وبذات الانفعال هتف (نبيل) بالعبارة عبر أجهزة الاتصال ..

ولكن .. لا إجابة ..

وكما يحدث فى مثل هذه المواقف تتجمع الأشياء دفعة واحدة لتصنع الحقيقة ..

عدم ردهما .. الاختلاف الطفيف فى الزى .. شىء ما فى أسلوب القيادة ..

الاثنان يرفعان مدفعيهما نحوه ..

واستوعب (نبيل) الحقيقة دفعة واحدة وبسرعة ..

واستطاع أن ينجو منها ..

ولكن عملية الصيد المتبادلة بدأت ..

هو يريد اقتناصهما وهما يريدان اقتناصه ..

وعندما رأى جثة زميله الأول فالثانى أصبحت العملية عملية انتقام ..

ولقد دفعوا الثمن حقًا .. ولكنه استطاع أن يظفر بأحدهما حيًا ..

وعندما حانت لحظة الخروج .. عند الساعة الثالثة .. كان أحدهما لم يمت بعد ..

وكان يقبض على مدفعه صارخًا ، و ...

وحسمت رصاصة (نبيل) الموقف ..

وانتقلت الأحداث إلى هناك .. إلى (سليم شهاب) وصاحب القنبلة النووية ..

★ ★ ★

فى شقة (كمال الجداوى) ..

وعندما أنهى صاحب القنبلة المكالمة وهَمَّ (سليم) بمغادرة الشقة .. انتبه إلى جهاز صغير يتصل بالهاتف .. جهاز مظهر للرقم ..

والذى أظهر رقم الهاتف الذى استخدمه ذلك الوغد فى المحادثة ..

ولقد كان هاتفًا عاديًا .. ومن رقمه لم يكن عسيرًا معرفة أن المكالمة من إحدى الشقق فى (رمسيس) ..

حيث كان الرئيس ونائبه ..

وتوالت الأحداث بسرعة فى ذهن (سليم) .. مكالمة مع الوزير عرف منها موقع التسليم بدقة ..

ثم مراجعة خريطة المكان لتحديد أنسب موقع لمراقبة الموقف عن كثب دون أن ينكشف أمره ..

ثم ربط هذا الموقع بعنصرين ..

أن يكون هذا الموقع قريبًا من أحد الأنفاق السرية لضمان الهروب إذا انفجرت القنبلة ..

والعنصر الثانى هو الصمت ..

ذلك الصمت الذى لاحظه (سليم) فى مكالمته مع صاحب القنبلة ، والتى تشير إلى أنه كان يتكلم من أحد الأحياء التى تم إخلاؤها بالفعل ..

وأخيرًا اكتفى بجهاز لالتقاط الذبذبات الصوتية واللاسلكية لتحديد من أين تتم المحادثة عندما تحدث هذا الأخير مع الوزير ليساومه ..

وهكذا .. وبمهارة تسلل (سليم شهاب) إلى الشقة التى يتحدث منها وأخرج مسدسه ، و ...

★ ★ ★

« ١٣ مارس .. الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحًا .. »

ـ ١٤ ـ

ـ « ولكن كيف فعلتها ؟! »

قالها صاحب القنبلة بتوتر واضح ..

كان يقف أمام النافذة وأمامه على إطارها منظار إلكترونى خاص للرؤية عن بعد ..

وبرغم الظلال التى تغطى وجهه بدا وجهه وسيمًا بشدة ، وخصلات شعره الأشقر تتدلى على جبهته كأحد نجوم السينما العالمية ..

وتجاهل (سليم) سؤاله ليقول :

ـ « والآن .. لا داعى لإضاعة الوقت وأخبرنى أين قنبلتك اللعينة هذه ؟!

تلاشى توتر ذلك الأشقر ، وابتسم بهدوء قبل أن يجيب بعربية مطلقة :

ـ « لست أظنك ساذجًا إلى هذا الحد .. »

ـ « ولست أظن أن هناك فصولاً أخرى لهذه اللعبة .. لقد خسرت ، اعترف بهذا واستسلم .. »

ـ « حقًا .. ولكننى ما زلت أسيطر على الوضع .. »

ـ « وماذا يفعل مسدسى هذا إذن ؟! »

رفع الأشقر يده لتواجه الضوء .. فبدا بين أصابعه جهاز صغير يتوسطه زر أحمر ..

مفجر قنابل بالطبع ..

وبدأ (سليم) فى التوتر وهو يقول :

ـ « إنك لن تفجر القنبلة بهذه بالطبع .. أنت تعرف .. كرة الرصاص عازلة لأى اتصال خارجى .. »

ـ « معلوماتى عن الفيزياء تتيح معرفة هذا .. لذلك وضعت قنبلة زمنية أخرى بالقرب من القنبلة تنفجر بعد خمس عشرة دقيقة من ضغط هذا الزر ..

ولكى أكون صادقًا معك .. أخذت احتياطًا آخر بتوصيل القنبلة بجهاز صغير خارج الكرة ـ ليستقبل الإشارات ـ وهذا الجهاز وظيفته تعديل برنامج زمن التفجير ليجعل القنبلة الجرثومية تنفجر بعد عشرة دقائق من انفجار القنبلة الأخرى .. »

وتراجع الأشقر خطوة ليستند إلى إطار النافذة مردفًا :

ـ « وهكذا .. ترى أننى ما زلت مسيطرًا على الأمور .. »

وأسقط فى يد (سليم) أمام هذه المفاجأة الجديدة ، وتذكر للحظة لعبة الأعصاب التى لعبها مع (مختار المليجى) وكيف انتهت عندما فقد هو أعصابه ..

وببطء أنزل (سليم) المسدس ..

ثم تماسك ليقول :

ـ « والآن ؟! أنت تعرف أن مخطط تسليم الرئيس قد فشل بعد أن سقط زملاؤك ..

وأننا استعدنا السيطرة على الأنفاق .. »

ـ « وأنت تعرف أننى الآن أستطيع طلب طائرة خاصة تقلنى أنا والرئيس ونائبه .. »

ـ « من أنت بالضبط ؟ بل من أنتم ؟ الموساد ؟ »

ارتفعت ضحكة الأشقر الوسيم عالية قبل أن يجيب :

ـ « موساد !! لا يا عزيزى .. نحن العصر الجديد .. أعتقد أنه من الظلم أن ندخل الألفية الثالثة بعد شهور دون أن نبرز منظمة جديدة .. »

ـ « منظمة مثل المافيا إذن .. »

ـ « ربما .. مع فروق عديدة .. أهمها أننا بلغنا حدًا لا يمكنك تخيله أبدًا .. »

ثم ألقى نظرة على ساعته ليقول :

ـ « المشكلة الآن أن وقت الرحيل قد حان .. فالقنبلة ستنفجر بعد أربعين دقيقة على كل حال ..

والآن دعنى أعلمك شيئًا جديدًا من الروليت الروسى .. سألقى هذا المفجر فى الهواء .. وإذا سقط على ظهره فلا شىء إذن ، ولكن إذا سقط على الزر فسوف .. »

باتفعال جارف همس (سليم) :

ـ « أيها الحقير .. »

ولكن الأشقر قفز فجأة ليقف على حافة النافذة ثم .. ألقى المفجر ..

وقفز (سليم) غريزيًا ليلتقطه .. واصطدم بأحد المقاعد ، واندفع جسده إلى الأمام ، ثم دار حول نفسه ليسقط على ظهره بعنف .. ثم رفع يده .. وبين أصابعه كان المفجر يستقر ..

ـ « رررائع .. »

قالها الأشقر بحماسة حقيقية ، ثم أخرج من جيب سترته المفجر الحقيقى ليقول :

ـ « أحسنت .. ولكنها كانت خدعة .. أراك بعد انفجار القنبلة .. »

وبلا مبالاة ضغط الزر ..

وقفز ..

★ ★ ★

والآن يبلغ العد التنازلى ذروته ..

خمس وعشرون دقيقة .. وتنفجر القنبلة الجرثومية .. لتطيح بـ (القاهرة) ..

كان (سليم) ملقى على الأرض فى تلك اللحظة وفى يده المفجر الزائف .. وعند النافذة المفجر الأصلى

والذى ألقاه الأشقر بعد أن ضغط زره ، وبعد أن قفز من النافذة ..

هب (سليم) واقفًا فجأة هاتفًا :

ـ « لم يعد هناك وقت .. »

والتقط المفجر الأصلى من الأرض ثم غادر الشقة ، وأسرع يهبط إلى الأسفل ..

وهناك فى الأسفل .. كانت سيارة رياضية صغيرة تشق الشوارع متجهة نحو البداية .. وكان قائد السيارة هو (كارم فوزى) الذى عرف موقع الشقة بعد اتصاله بوزير الداخلية ..

كانت النقط الحمراء قد اختفت من على خريطة (القاهرة) فى شاشة الكمبيوتر ، إلا نقطة واحدة تشير إلى (رمسيس) ..

القنبلة هنا إذن ..

وإذ خرج (سليم) من البناية مهرولاً .. كانت سيارة (كارم) تنتظره ..

وبداخلها (كارم) وإلى جواره (داليا) ..

ثلاث وعشرون دقيقة ..

وعلى الرغم من أن (سليم) لم يكن رأى (كارم) من قبل .. وأنه لم يكن يتوقع أن يكون (كارم) هذا شابًا وسيمًا يرتدى حلة سهرة أنيقة .. إلا أنه لم يكد يرى السيارة تتوقف أمام البناية حتى أسرع إليها هاتفًا :

ـ « أنت (كارم) .. »

خرج (كارم) و(داليا) لاستقباله وهتف الأول :

ـ « وأنت (سليم) » ..

ودون أن يضيع الوقت فى التحية ومقدمات لا داعى لها هتف (سليم) فى انفعال :

ـ « القنبلة على وشك الانفجار .. لقد أشعل برنامجًا لاختصار الوقت بوساطة هذا الجهاز .. »

قالها وهو يرفع يده التى تحمل المفجر فالتقطته (داليا) منه وأخذت تفحصه لوهلة ثم قالت :

ـ « هذا المفجر محدود التأثير .. بل وأقصى مدى له مائة متر فقط .. »

هتف (سليم) بانفعال يتضاعف أكثر وأكثر :

ـ « إذن .. فالقنبلة هنا .. على بعد مائة متر فحسب .. »

أشار (كارم) بانفعال مماثل إلى البنايات المواجهة قائلاً :

ـ « إنها فى إحدى هذه البنايات ..»

إحدى وعشرون دقيقة ..

قالت (داليا) لتزج بنفسها إلى الحديث :

ـ من الممكن أن نستثنى البنايات السكنية ..

فطبقًا لحجم القنبلة لن يمكن وضعها فى شقة عادية .. »

أشار (سليم) إلى البنايات قائلاً :

ـ « إذن فهى فى إحدى هاتين البنايتين .. المركز التجارى الحديث .. أو مخزن الأدوية هذا .. »

مط (كارم) شفتيه ثم قال :

ـ « كلاهما يصلح .. ومخزن الأدوية هو الأقرب إلى المنطقية .. »

قالت (داليا) :

ـ « إذن ؟! »

أجاب (سليم) :

ـ « إذن .. هيا إلى المركز التجارى .. »

عشرون دقيقة ..

بددت الرصاصة التى أطلقها (سليم) على قفل باب مدخل المركز التجارى صمت المكان ودويها يتردد فى المكان بشدة قبل أن يدلفوا جميعًا إلى داخل المركز ..

وكإجراء فورى اشتعلت أجهزة الإنذار وأخذت تدوى فى المكان فى دوى رهيب بدد الصمت تمامًا هذه المرة .. وهتف (سليم) ليعلو صوته على صوت الإنذار :

ـ « أين زر إضاءة هذا المكان ؟ »

أجابته (داليا) :

ـ « فى حجرة الصيانة فى هذا الطابق .. »

واندفعت تتحسس طريقها فى الظلام معتمدة على ذاكرتها لبلوغ الحجرة ، و (سليم) و(كارم) من خلفها ..

ودوت الرصاصة الثانية لتنسف قفل باب حجرة الصيانة ..

وماهى إلا لحظة حتى اشتعلت أضواء المكان ..

تسع عشرة دقيقة ..

ـ « أين القنبلة بالضبط ؟ »

هتف (كارم) بالعبارة فأجابه (سليم) متوترًا :

ـ فى طابق ما من الطوابق الثلاثة .. أو فى الجراج فى الأسفل أو فى أى مكان آخر ..

المهم أن نجدها قبل أن تنفجر القنبلة الزمنية الأخرى .. ستنفجر بعد تسع دقائق فحسب .. »

واندفعا يعدوان عبر ممرات الطابق الأول عندما ..

دوت رصاصات مدفع آلى وتناثرت الرصاصات من حولهم لتخترق الجدار وزجاج المتاجر ..

وبتلقائية ألقوا بأنفسهم جميعًا على الأرض .. برغم الزجاج المحطم ..

و (سليم) يصرخ فيهم فى انفعال :

ـ « حاذروا .. أحدهم مازال هنا .. »

عادت الرصاصات تدوى من جديد مع صوت خطوات تعدو بسرعة فانتزع (سليم) مسدسه من جرابه ووقف فجأة ليعدو هو الآخر ..

كان أحدهم يقف حاملاً مدفعه الآلى فى الطابق الثانى محاولاً اقتناصهم عندما فوجئ بـ (سليم) يعدو فجأة فالتفت إليه بمدفعه واستعد لضغط الزناد و ..

وظهر (نبيل) فجأة ليطلق من مسدسه رصاصتين اخترقتا صدر المسلح ..

وعاد الصمت يهوى على المكان إلا من صوت جهاز الإنذار ..

سبع عشرة دقيقة ..

والتفت الجميع إلى ذلك الملثم الجديد الذى اقتحم دائرة الأحداث والذى هتف بصرامة وبصوت قوى :

ـ « إننى من وزارة الدفاع .. هل عثرتم على القنبلة ؟! »

ـ « لا ، مازلنا نبحث عنها .. »

ـ « إنها ليست فى الأعلى .. لقد جئت من هناك .. »

ـ « إذن هى فى موقف السيارات فى الأسفل .. »

واندفع الأربعة يعدون إلى الأسفل ..

حتى بلغوا موقف السيارات ..

ست عشرة دقيقة ..

كان المكان أمامهم خاليًا إلا من تلك الشاحنة .. الشاحنة التى قادها يومًا (عزت وجدى) .. الشاحنة التى تحمل ما يهدد القاهرة كلها .. القنبلة النووية ..

وبلهفة متوترة اندفع (سليم) و (كارم) إلى داخل الشاحنة حيث كانت كرة المعدن المبطنة بالرصاص تنتظرهم ..

وعلى الجدار الخاص للكرة ، كانت القنبلة الزمنية الأخرى ملتصقة ، وساعتها الرقمية تشير إلى أنها ستنفجر بعد .. خمس دقائق فحسب ..

وبانفعال قال (نبيل) :

ـ « ألا يمكن انتزاعها ؟ »

أجابته (داليا) :

ـ « ستنفجر على الفور .. يجب عزل الدائرة الكهربية أولاً .. »

ونظرت إلى (كارم) بتوتر .. فقال هذا الأخير :

ـ « لقد فعلناها معًا من قبل .. »

وأخرج من جيبه سلكًا رفيعًا ثناه على نحو خاص ، بينما أخرجت (داليا) من حقيبتها سكينًا صغيرًا أخذت تعرى به طرفى سلك القنبلة ..

أربع دقائق ..

بحذر شديد أخذت (داليا) تربط أحد طرفى السلك الرفيع فى ذلك الجزء من السلك الرئيسى الذى جردته من واقيه البلاستيكى ، ثم كررت ذات الشىء مع الطرف الآخر ..

وتناول (كارم) السكين من يدها المرتجفة ليقطع السلك الرئيسى ..

وفصل القنبلة ..

دقيقتان ..

ـ « يجب التخلص منها فورًا .. »

قالتها (داليا) بصوت مرتجف فتناولها (نبيل) بحزم قائلاً :

ـ « اتركوها لى .. »

هتف (سليم) :

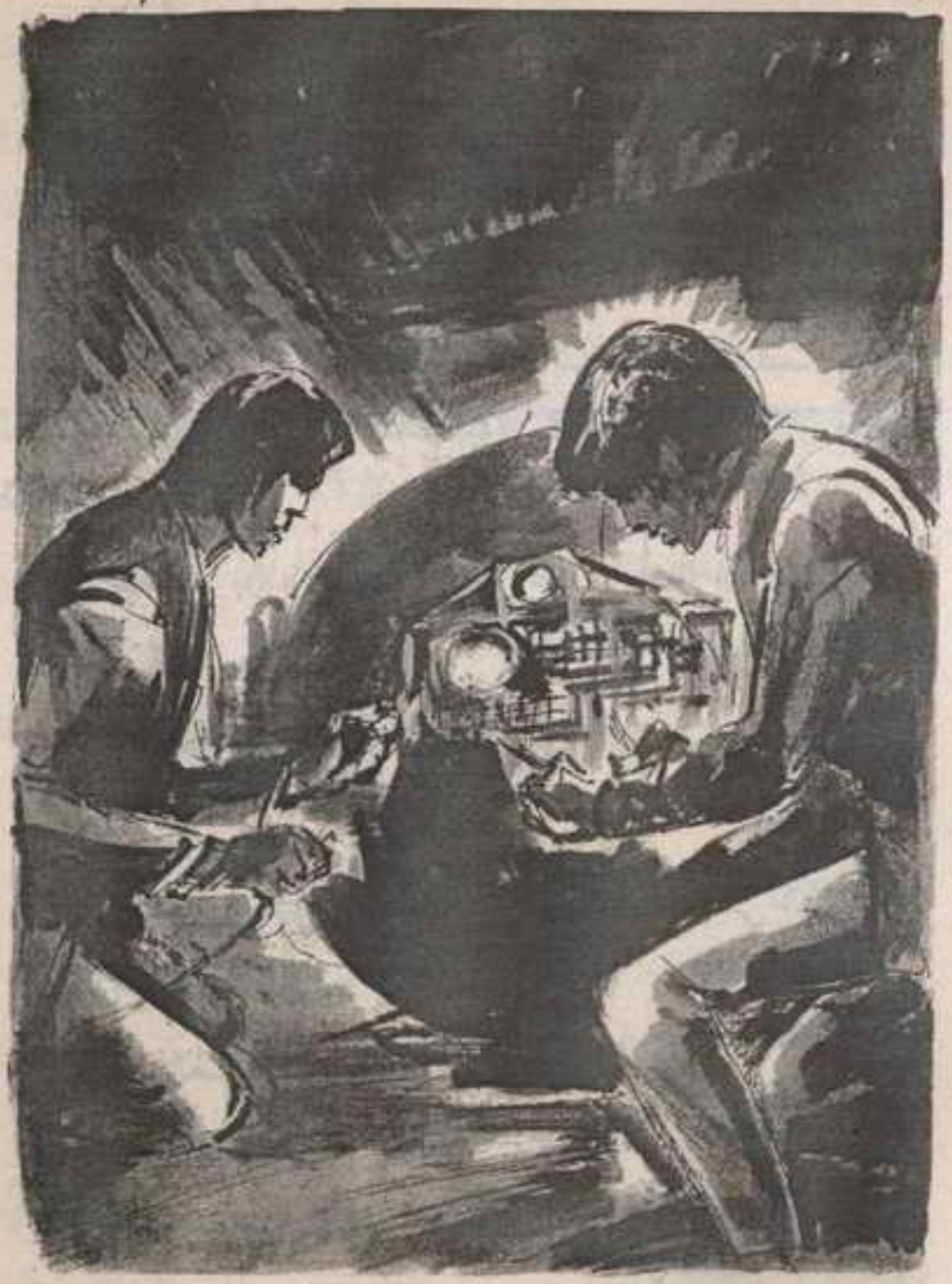

بحذر شديد أخذت (داليا) تربط أحد طرفى السلك الرفيع فى ذلك الجزء من السلك الرئيسى الذى جرَّدته من واقيه البلاستيكى ..

ـ « ولكنك لن تجد وقتًا لـ .. »

قاطعه (نبيل) قائلاً :

ـ « دعكم من هذا .. وحاولوا إيقاف القنبلة الجرثومية .. »

ثم وبسرعة غير عادية اندفع يعدو مبتعدًا ..

وتجاهل (كارم) هذا كله ، واتجه إلى جهاز التوقيت الزمنى للقنبلة النووية وأوصله بالكمبيوتر المتنقل الذى كان يحمله طيلة الوقت قائلاً :

ـ « أنصحكم باللجوء إلى الأنفاق فى حالة ما إذا فشلت .. »

ـ « لن تفشل بإذن الله .. »

ـ « الموضوع ليس سهلاً وسيستغرق وقتًا .. »

ـ « ابدأ إذن .. »

ولكن أجساد الجميع انتفضت مع دوى الانفجار فى الخارج ..

وبقلق تساءلت (داليا) :

ـ « ذلك الملثم .. هل نجا ؟؟! »

أجابها (سليم) :

ـ « فلنأمل هذا .. »

وكان (كارم) فى أصعب لحظات حياته ..

كان التوتر الزائد داخله يتضاعف ، ويورثه شعورًا مقيتًا بالعجز والخوف من الفشل .. دعك من الطبع من النعاس الذى يصارع وعيه باستماتة .. وتلك الصورة المخيفة التى تطارد ذهنه ..

القنبلة تنفجر وهو أمامها ..

ولن يجد حينها وقتًا ليصرخ .. ليتألم ..

سيتلاشى .. وتنتهى القاهرة من بعده ..

ولكن لا .. هذا ليس وقته .. لتنفض عن ذهنك تلك الصور القاتمة وتركز فيما ستفعله الآن ..

ها هو ذا البرنامج الزمنى أمامك يؤكد أن القنبلة على وشك الانفجار ..

بعد تسع دقائق ..

الأرقام.. البيانات .. إن معلوماته عن الكمبيوتر تتيح له فهم هذا ، ولكنه بحاجة إلى التركيز ..

فقط التركيز ..

من الممكن أن يعمل على فصل المفجر عن الشحنة كهربيًا ولكن هذا سيستغرق ..

ساعة على الأقل ..

الحل إذن فى البرنامج الزمنى نفسه ..

تمامًا كما فعل مع الكمبيوتر ..

سيستخدم ذات البرنامج ولكن عكسيًا .. لسوف يزيد من بطء البرنامج الزمنى أو ..

ربما تفلح تلك الفكرة التى تلح على ذهنه ..

ليجربها إذن ..

خمس دقائق ..

(داليا) لم تستطع منع دموعها من الانحدار على وجهها .. وهى تردد دعاء صامتًا بقلبها ..

يا إلهى .. لا تجعلها تنفجر ..

أربع دقائق ..

(سليم) بلغ ذروة انفعاله .. وملامحه الجامدة كما هى ..

ربما كان هذا أسوأ ما فى الأمر .. إنه كان يحاول مقاومة توتره .. والنتيجة ..

مزيد من التوتر ..

ثلاث دقائق ..

فى الخارج كانت الملايين تندفع إلى داخل الأنفاق بفزع جماعى وكأنه يوم البعث ..

دقيقتان ..

البرنامج يعمل .. حاول أن تفعلها الآن يا (كارم) .. سيجعل زمن التفجير دالة اللانهاية ..

عندئذٍ لن تنفجر أبدًا .. ولكن افعلها ..

افعلها ..

دقيقة ..

و ..

★ ★ ★

١٣ مارس .. الرابعة وعشرة دقائق صباحًا ..

حاملين كل انفعالاتهم ومشاعرهم ، وتلك الساعات العصيبة خرج الثلاثة من المركز التجارى ..

كان (كارم) يرتجف انفعالاً ..

وكانت (داليا) تبكى بلا توقف ..

وكان (سليم) يكاد يفقد وعيه ..

ولكنهم نجحوا ..

وفعلوها ..

وإذ تسللت أشعة فجر يوم جديد على القاهرة .. كان (كارم) قد قرر حسم موقفه ..

والتفت إلى (داليا) ليقول :

ـ « إذا دعوتك على العشاء اليوم .. هل تقبلين ؟ »

ـ « ربما .. »

وردّدت شوارع (القاهرة) صوت ضحكاتهما الصافية ..

★ ★ ★

ولكن ثمة سؤال ما تركناه ..

مَنْ هو صاحب القنبلة ؟

بل ومَنْ صاحب الجثة التى بدأت بها الأحداث ؟

إن إجابة ذلك وأكثر سنعرفه ..

فى العدد القادم بإذن اللّه (تعالى) .

[تمت بحمد اللّه]

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

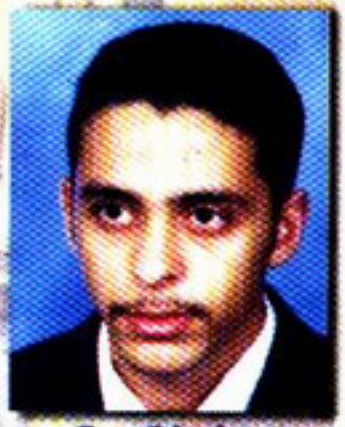

ملفات سرية
٢٠٠ دقيقة

تامر إبراهيم محمد

تلك هى اللعبة أيها السادة .. إما أن تعثروا على القنبلة أو ابداوا فى إخلاء القاهرة .....

فقط فى « ٣٠٠ دقيقة » ....

والمهم ايضًا .... أنكم إن عثرتم على القنبلة ... أن يكفى الوقت حينها لإيقافها ....

الثمن فى مصر ٢٠ قرشًا
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع سلاح التلميذ